الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵖⵏⴰⵡⵉⵙ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⵜⴰⵏⴰⵎⵓⵔⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⴰⵡⵉⵜ ⴷ ⵜⵜⵓⵔⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

كلّية الآداب واللّغات

قسم الترجمة

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Traduction et d'Interprétariat

رقم الترتيب:.....

الرقم التسلسلي:.....

N° d'Ordre :.....

N° de série :.....

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الترجمة

الميدان: الآداب واللّغات

الشعبة: الترجمة

التخصص: فرنسي – عربي – فرنسي

عنوان المذكرة

إشكالية ترجمة البعد الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية من خلال ترجمة فصل من رواية "Les vigiles" للروائي "الطاهر جاووت"، أنموذجا.

إعداد الطالبتين:

- دوحة زغمار
- هبة بلحاج

إشراف:

أقزوح سليمة

لجنة المناقشة:

–	الأستاذ حاج عيسى عبد النور	جامعة مولود معمري	رئيسا (أ.م.أ)
–	الأستاذة أقزوح سليمة	جامعة مولود معمري	مشرفة (أ.م.أ)
–	الأستاذة طالب كهينة	جامعة مولود معمري	عضوا مناقشا (أ.م.أ)

السنة الدراسية 2022/2021

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إنجاز مذكرة تخرجنا.

نتقدم بشكرنا الجزيل للأستاذة القديرة أقزوح سليمة التي أشرفت على توجيه هذا العمل المتواضع.

نتقدم بجزيل الشكر أيضا إلى أستاذتنا أعضاء لجنة المناقشة على ما تكبدوه من مشقة في قراءة مذكرتنا.

في النهاية يسرنا أن نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد ولو بكلمة في إنجاز هذه المذكرة المتواضعة.

إهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى

رُوحَيْ والدَيَّ المتوفيين، ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرا، وتغمّدهما بواسع رحمتك وعفوك وحِلمِكَ،

أبي حبيبي ***زغمار حسين*** وأمي حبيبتي ***زازوة عائشة*** اللذان أتمنى أن يكونا فخورين بي لأني قدمت ما بوسعي كي يحدث ذلك.

ذلك الإرث النفيس الجميل الذي تركاه لي، أختي ونصفي الثاني، بل كُلّي الدكتورة ***زغمار دينا*** ، خليفة أمي وأبي في دنياي.

أبي الثاني، خالي ***زازوة بلقاسم*** الذي تتدافع الدموع والكلمات وتتسابق كي تشكر جميله، فتعجز الأولى والثانية وتترك ذلك لشكر أسمى وأنبل من كل شكر بشريّ فانٍ، جازاه الله نِعْمَ المُجازي وأكرمه كما أكرمنا.

أختي الغالية على قلبي، التي لم أكن حيث انا الآن دون فضلها عليّ بعد فضل الله، ***زازوة نادية*** التي ما كنت لأُوَفّقَ في هذا الاختصاص ولا لأختاره دون جهودها.

أخي القريب إلى قلبي ***زازوة محمد أمين (Midou)*** الذي أشكره على صداقته قبل أُخُوّتَه، وإلى تلك القطعة الجميلة منه ***زازوة ياسين*** الذي يجعلني أبتسم كلما اراه، حفظه الله وجعله من الذرية الصالحة.

كل الأصدقاء والأحباب فردا فردا.

وإلى كل من آمن بي.

دوحة

إهداء

أهدي تخرجي وفرحتي إلى

فقيدة قلبي جدتي الغالية رحمها الله.

معنى الحب والحنان، من علمتني مالم تعلمني إياه المدارس أمي العزيزة ***خنوف هدى*** اطال الله في عمرها.

من أحمل إسمه بكل افتخار، إلى بسمة الحياة وسر الوجود أبي الغالي ***بلحاج مراد*** اطال الله في عمره.

رمز الحب والحنان الى من أرى منهم الدعم في الحياة أخي عبد المؤمن وأخي العزيز مصعب.

حبيبة قلبي وأختي الجميلة كوثر.

الصديقات الغاليات على قلبي مروة رحمها الله، شاهيناز، ضحى، ليليا أحبكم وأتمنى لكم دائم الصحة والعافية.

عائلتي الغالية، إلى كل من حفزني إليكم اهدي ثمرة جهدي.

هبة

مقدمة **1**

الفصل الأول: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

1. تعريف الرواية 8
2. نشأة وتطور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية 10
3. الرواية في فترة الاستعمار 13
   1.3. موضوع الاندماج 14
   2.3. موضوع الثورة 16
4. الرواية في فترة ما بعد الاستقلال 20
5. الرواية في فترة العشرية السوداء 23
   1.5. موضوع الالتزام 26
   2.5. موضوع المثقف 27
   3.5. موضوع العنف 28
6. خصائص ومميزات الرواية الجزائرية بالفرنسية 29
7. الترجمة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية 30

الفصل الثاني: الابعاد الثقافية واستراتيجيات نقلها عند ماريان ليديرير

1. تعريف البعد الثقافي 35
2. أنواع الأبعاد الثقافية 35
   1.2. البعد اللغوي 36
   2.2. البعد الديني 40
   3.2. البعد التاريخي 43
3. صعوبات ترجمة البعد الثقافي 44
   1.3. صعوبات على مستوى العادات والتقاليد 45
   2.3. صعوبات على مستوى المعيار الديني 47
   3.3. صعوبات على مستوى المعيار السياسي 48
   4.3. صعوبات على مستوى المعيار البيئي 50
4. مفهوم النقل الثقافي في الترجمة 51
5. نبذة عن ماريان ليديرير 53
6. النظرية التأويلية في ترجمة النصوص الأدبية و نقل البعد الثقافي 54

7. استراتيجيات النقل الثقافي عند ماريان ليديرير 55
1.7. التبديل 56
2.7. التكييف 57
3.7. التصريح 59
4.7. الترجمة المتمركزة عرقيا 60

الفصل الثالث: دراسة المدونة وتحليلها

1. نبذة عن الأديب الطاهر جاووت 63
2. أعماله 65
3. خصوصية الكتابة عند الطاهر جاووت 66
4. عرض المدونة 68
5. ملخص الرواية 69
6. ترجمة جزء من الفصل الأول من رواية « Les vigiles » ص 9-24 71
7. تطبيق الاستراتيجيات على النماذج المختارة 90
1.7. التبديل 91
2.7. التكييف 93
3.7. التصريح 96
4.7. الترجمة المتمركزة عرقيا 99

الخاتمة 102

المسرد

قائمة المراجع

الملخص

مقدمة

الاختلاف سنة كونية وُجدت بوجود الإنسان، جعلته يتميز ويتفرد عن غيره في مختلف المظاهر الخارجية منها كالشكل واللون والطول، ومختلف الممارسات التي يقوم بها في حياته اليومية، لكن كونه كائنا اجتماعيا بالفطرة، يجعل من تعامله مع الآخرين ضرورة حتمية سواء كانوا يشتركون معه في كثير من المواصفات، بعضها أو القليل منها، وهذا هو حال الإنسانية اليوم، الكل وفي كل مكان يستفيد من الآخرين ويفيدهم، يتناقلون أخبارهم وخبراتهم فيما بينهم، فتعم المعرفة وتنتشر المنفعة في كل أرجاء المعمورة.

كل هذا كان سيستحيل في ظل تباين اللغات واللهجات التي يتم التعبير والتعامل بها من منطقة إلى أخرى، وما نحن هنا إلا أمام صورة واضحة من صور الاختلاف الذي تحدثنا عنه والتي إن دلت على شيء إنما تدل على إبداع الخالق عز وجل في خلقه وقدرته اللامحدودة في بعث التنوع بين الأحياء عامة وبني البشر خاصة، قال الله تعالى في كتابه الكريم {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[1] ،قلنا أن هذا كان سيستحيل لولا أن المولى عز وجلّ لم يهب الإنسان ميزة العقل التي جعلته يتفطن لضرورة اللجوء إلى إيجاد وسيط بين المجتمعات الناطقة بألسنة مختلفة، هذا الوسيط المتمثل في الترجمة التي تعتبر المحرك الأساسي لعملية التواصل والتبادل بين الشعوب والحضارات. فعلى مر التاريخ، ثبت أن مختلف الحضارات المتعاقبة اتخذت من الترجمة وسيلة لبناء أسسها ومعالمها، وكان لابد من اللجوء إلى عملية الترجمة لكسر حاجز اللغة في ذلك الوقت، وحتى يومنا هذا لا تزال الترجمة تساهم في رقي المجتمعات وازدهارها، فيقوم مترجمو النصوص الأدبية التي نخصها بالذكر في دراستنا هذه بترجمة آلاف الروايات والقصص وروائع الأدب العالمي إلى لغات متعددة كي يلمع نجمها في أرجاء مختلفة من العالم مهدمة بذلك جميع الجدران التي يبنيها أمامها عامل اختلاف اللغات والثقافات، هذا الأخير

[1] سورة الروم، الآية22.

الذي يقف عائقا أمام المترجم عند نقل نص من لغة إلى أخرى وبهذا من ثقافة إلى أخرى، فلكل ثقافة أعين مختلفة تنظر بها إلى العالم، ولكل مجتمع خصوصياته سواء أكانت خلفياتها دينية أم سياسية أم تاريخية أم عرقية. لذا وجب على المترجم، فضلا عن إتقانه اللغتين الأصل والهدف، التمتع بسعة اطلاع على الثقافتين المنقول منها وإليها قصد إتمام عملية التواصل التي يصبو إليها على أكمل وجه في ظل البحث الدائم عن المكافئ الذي يحمل إلى اللغة الهدف نفس المعنى الذي جاء بها النص الأصلي. كما عليه أيضا إدراك الاختلافات الاجتماعية والثقافية التي قد تكون مصدر أكبر العقبات التي تواجهه، خاصة إذا تمت عملية الترجمة بين لغتين تختلفان تماما من الناحية الثقافية، كاللغة العربية واللغة الفرنسية اللتين نحن بصدد التطرق إليهما خاصة.

فقد يجد المترجم نفسه أمام وضعية ثقافية أو اجتماعية في النص الأصل يتعذر إيجاد مكافئ لها في اللغة الهدف، ربما لانعدام المكافئ أصلا، أو أنه قد يكون في نقل الموقف إلى اللغة الهدف حرج أو خدش لحياء القارئ بهذه اللغة، أو ما شابه ذلك. إذ ما يبدو عاديا لدى مجتمع ما، ولنضرب مثلا بالمجتمع الأوروبي، قد يكون من أشد المحرمات لدى مجتمع آخر وليكن المجتمع العربي مثلا، وما يكتسي قدسية لدى المجتمع الهندي مثلا، قد يكون من أبسط يوميات المجتمع الأمريكي وهكذا.

من هنا وجب على ممارس الترجمة معرفة حدود الثقافتين (الأصل والهدف) قصد نقل العناصر الثقافية من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول بطريقة صحيحة تؤدي الرسالة ذاتها ودون الخروج عن المألوف في الثقافة المستقبلة ودون تجاوز الخطوط الحمراء لها سواء أكانت اجتماعية أم دينية أم سياسية. في هذه الحالة يجد المترجم نفسه في صراع بين الأخلاق والأخلاق. ونعني بالأولى أخلاقيات الترجمة التي تفرض عليه الأمانة في نقل النص الأصلي بكل معالمه، ونقصد بالثانية، قيم القارئ ومبادئه الاجتماعية والثقافية.

إنطلاقا مما سبق تتبلور الإشكالية التالية: كيف للمترجم أن يتعامل مع العناصر الثقافية في النصوص الأدبية أثناء قيامه بعملية الترجمة؟ خصوصا مع تلك العناصر الدخيلة عن ثقافة اللغة المنقول إليها (اللغة الهدف)؟

للخوض في هذه االإشكالية ومحاولة الإجابة عليها، وباعتبار أن الرواية صارت أكثر الاجناس الأدبية شيوعا في الوقت الحالي، ارتأينا أن نقوم بدراسة موضوع "إشكالية ترجمة البعد الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ترجمة جزء من الفصل الأول لرواية «les vigiles» للكاتب "الطاهر جاووت" أنموذجا."

أما عن الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع دون غيره فيمكن تقسيمها إلى أسباب ذاتية وأسباب موضوعية. فعن الذاتية منها تعود إلى ميولنا إلى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية. إضافة أننا قمنا باختيار الكاتب والشاعر والروائي "الطاهر جاووت" دون غيره لكون جذوره تمتد إلى منطقة "أزفون" أين امتزجت زرقة البحر بخضرة العشب كي تكون مصدر إلهام لهذا الكاتب المتميز، هذه المنطقة المتواجدة في ولاية "تيزي وزو" التي شددنا لها رحالنا منذ قرابة عامين من الآن كي نواصل دراستنا فيها، إعجابُنا بالمنطقة، بسكانها، بلهجتهم، بعاداتهم وتقاليدهم ولّد فينا حب أحد نوابغها الشجعان "**الطاهر جاووت**" فارتأينا أن نجعل من رواية « **les vigiles** » خيارا ندرس عبره كيفية العبور من ثقافة إلى أخرى كما سبق وذكرنا.

أما من الناحية الموضوعية، فكون هذه الرواية تزخر بالعناصر الثقافية يجعلها مادة دسمة تساعدنا في بحثنا هذا.

أما عن الفرضيات التي سنؤسس عليها دراستنا، فتتمثل فيما يلي:

- ربما يلتزم المترجم بترجمة العناصر الثقافية كما جاءت في اللغة الأصل دون تغييرها لأنه لا يحق له من باب الأمانة في الترجمة التصرف في العصارة الفكرية لغيره.

- ربما يلجأ المترجم لترجمة العناصر الثقافية لاستراتيجيات معينة من شأنها تذليل الصعوبات التي قد تواجهه.
- ربما يقوم المترجم بحذف العناصر الثقافية التي من شأنها أن تخدش حياء القارئ في اللغة الهدف وأن تسبب له الإحراج.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لموضوع الدراسة التي قمنا بها، أما التحليل فسيكون في مواطن ورود العناصر الثقافية غير المألوفة في اللغة المستقبلة، اللغة العربية في بحثنا هذا، حيث حددنا هذه العناصر في الجزء الذي قمنا بترجمته من مدونتنا، ثم قمنا بتحديد الاستراتيجيات المناسبة، مع قيامنا بوصف هذه الاستراتيجيات وشرحها من أجل تعليل الاختيار الذي قمنا به.

للقيام بهذه الدراسة، سيقتضي الأمر تقسيم البحث إلى مقدمة يتم فيها تحديد الإشكالية ومختلف التساؤلات، تليها بعض الفرضيات التي سنحاول الإجابة عنها، إضافة إلى ثلاثة فصول، الجزء النظري منها ينقسم إلى فصلين. الفصل الأول تحت عنوان "الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية" الذي بدوره قسمناه إلى عناصر بداية بمفهوم الرواية بصفة عامة، ثم ننتقل إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية حيث نتطرق إلى نشأتها وتطورها عبر فترات مختلفة كما سنذكر أهم المواضيع التي قامت هذه الكتابات بمعالجتها وأبرز الكتاب الجزائريين الذي أبدعوا في هذا اللون الأدبي بالذات، بعدها نتحدث عن خصائصه ومميزاته ثم نختتم هذا الفصل بآخر عنصر والذي عنوناه الترجمة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

الفصل الثاني من الجزء النظري والذي ارتأينا أن نطلق عليه عنوان "الأبعاد الثقافية واستراتيجيات نقلها حسب ماريان ليديرير" سنقوم فيه أولا بتعريف البعد الثقافي ثم ذكر أنواعه مع شرحها قبل الخوض في أبرز الحواجز التي لابد على المترجم أن يصطدم بها عند ممارسته لعملية الترجمة، ثم

ننتقل بعدها إلى مفهوم النقل الثقافي في الترجمة ومنه نمر إلى التعريف بالمترجمة والمنظرة في الترجمة صاحبة الاستراتيجيات الأربعة والخوض إلى كل واحدة على حدا، بإعطاء مفهوم موجز عن ماهية النقل الثقافي بعد إيراد تعريف موجز عن النظرية التأويلية التي طالما اقترن اسمها بالمترجمة سابقة الذكر.

ننتقل بعدها إلى الجزء التطبيقي من عملنا هذا، الفصل الثالث تحت عنوان " دراسة المدونة وتحليلها"، حيث نستهل عملنا بالعنصر الأول حيث نتحدث فيه عن الكاتب "**الطاهر جاووت**" صاحب المدونة التي اخترناها ونقوم بسرد مسيرته سردا متواضعا ثم نذكر أهم أعماله ونتحدث بعدها عن خصوصية الكتابة عند "**الطاهر جاووت**"، ثم نسلط الضوء على الرواية التي نحن بصدد دراستها، رواية « **Les vigiles**»فنعطي نبذة عنها نرفقها بملخص عنها باللغة العربية، ننتقل بعد ذلك إلى العنصر الموالي وهو ترجمة جزء من الفصل الأول (من ص9 إلى ص24) من المدونة قيد الدراسة ثم ننتقل إلى آخر عنصر في آخر فصل من مذكرتنا أين نقوم بتطبيق الاستراتيجيات سابقة الذكر على نماذج قمنا باختيارها مع شرح مفصل لكل نموذج، بعدها نرفق بحثنا بخاتمة هي بمثابة حلول اقترحناها كي نخرج من الإشكاليات التي سبق وقمنا بطرحها في مقدمتنا هذه إضافة إلى ملخص يشير باختصار إلى ما تدور حوله هذه الدراسة.

وقد استفدنا في هذا البحث من دراسات سابقة نذكر منها:

LEDERER, Marianne, La traduction aujourd'hui, le modèle interprétatif, Paris.

واسيني الأعرج، إتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

فاطمة الزهراء حبيب، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مذكرة

لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015-2016.

وفي الأخير، يجدر بنا الإشارة أن عملنا هذا ما هو إلا محاولة منا للإحاطة بحيثيات هذا الموضوع وأننا قد بذلنا قصارى جهدنا في سبيل جمع المعلومات الكافية التي من شأنها أن تخدم وتثري بحثنا هذا.

الفصل الأول
الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

إن الأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر تحت هيمنة الاستعمار الفرنسي من خلال طمس معالم ومقومات الهوية الوطنية بكافة الطرق والوسائل تسببت في فرنسة المجتمع الجزائري، فمنذ أن وطأ الاستعمار الفرنسي التراب الجزائري، قام بالعمل على تخريب القيم الروحية وفرض ثقافته حتى يقتل اللغة العربية، وقد نجح في ذلك إذ اتصل الشعب الجزائري بأدبهم (الأدب الفرنسي) من شعر ونثر وقصة، في ظل هذه الظروف المأساوية التي عانى منها بالإضافة إلى انتشار الجهل والأمية، بمعنى أن تلك الوقائع المؤلمة المعاشة أجبرت على لجوء المؤلفين الجزائريين إلى اتخاذ اللغة الفرنسية كأداة للتعبير والتعمق أكثر في الظروف المحيطة بهم عن طريق الرواية مما أذى إلى ظهور روايات جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية للدفاع عن القضية الجزائرية.

يتضمن هذا الفصل مفهوم مصطلح الرواية، كما سوف نتطرق فيه إلى أسباب وعوامل نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في ظل سيطرة الاستعمار الفرنسي الذي فرض هيمنته في جميع المجالات، مما فرض على الكتاب والمؤلفين التعبير عن أفكارهم باللغة الفرنسية. كما سنقوم بذكر مراحل نشأة هذا النوع من الرواية بحيث تنوعت واختلفت مضامينها مع كل مرحلة، ففي فترة الاستعمار كانت أهم المواضيع التي تضمنتها الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تتمثل في نقل معاناة الشعب الجزائري من ظلم الاستعمار، والدعوة إلى الثورة وضرورة الحفاظ على القومية الوطنية كما دعا لها "محمد ديب"، "مالك حداد" و"كاتب ياسين"... أما في فترة ما بعد الاستقلال فقد واصلت الأعمال الروائية الخوض في موضوع الثورة وبشاعة أعمال الاستعمار، كما غلبت عليها النزعة الاجتماعية النقدية نظرا لسوء الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك ليكون أمثال "مولود معمري" و"آسيا جبار" حاضرين بأقلامهم... وآخر مرحلة هي فترة العشرية السوداء حيث كانت الرواية مرآة عاكسة للأوضاع المزرية التي عاشها الشعب الجزائري في هذه المرحلة في مختلف الجوانب. ثم

سنذكر خصائص ومميزات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ثم ننتقل إلى عنصر عملية الترجمة فيما يخص هذه الروايات.

1. تعريف الرواية

تعد الرواية أحد أهم الألوان الأدبية الحديثة التي أحدثت ثورة في عالم الأدبيات وأضافت له ثروة لا يستهان بها على جميع الأصعدة، بإضافة عنصر الإثارة والتشويق الذين كانا غائبين عندما نتحدث عن باقي الأجناس الأدبية. وتعد الرواية أيضا من أجمل وأرقى فنون الأدب النثري وأحدثها من حيث الشكل والمضمون، وللرواية تأثير كبير على المجتمع بسردها حكايات نستقرئ من خلالها دروسا كانت تحصيل مواقف وخبرات عاشها إنسان ما في مكان ما في وقت ما، هذه الحكايات التي تُمتع عقولنا وقلوبنا وتجعل مخيلاتنا تسرح في أزمنة لم يسعنا عيشها من جهة وتفيدنا في حياتنا من خلال ما نقرأه بين سطورها من نصائح وفوائد سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة.

والرواية تتصنف مع الأجناس السردية الأدبية النثرية، غايتها الإشارة للواقع وتسليط الضوء عليه، ذلك أنها تشترك مع باقي الفنون الأدبية الأخرى في العديد من الخصائص، وهذا ما يجعلها منفتحة على كل الأشكال الأدبية الأخرى، فتأخذ من الملحمة سرد الأحداث، ومن القصة والمسرحية الشخصيات، وعن الأدب الشعبي الأمثال والحكم. فهي بذلك لون أدبي هجين قابل لاستيعاب جميع الأنماط التعبيرية الأخرى.

لغة:

إن الأصل في كلمة "روى" في اللغة العربية هو جريان الماء، أو وجوده بغزارة، أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال، أو نقله من حال إلى حال أخرى، وأطلقوا على المزادة الرواية لأن الناس كانوا يرتوون من مائها وأطلقوا على الشخص الذي يسقي الماء الرواية[1].

[1] ينظر: نبيل راغب: فنون الأدب العالمي، ط1، لونجان للنشر، مصر، 1996، ص171.

وأطلقوا على ناقل الشعر "رواية" لوجود التشابه بين الري الروحي الذي هو الارتواء المعنوي من التلذذ بسماع الشعر أو استظهاره بالإنشاد والارتواء المادي الذي هو العبّ في الماء العذب الذي يقطع الظمأ.

وبهذا فإن الرواية عند العرب القدامى تحمل معنى "الاستظهار" الذي معناه عكس الإخفاء.

اصطلاحا:

تباين الباحثون في إعطاء مفهوم موحد للرواية، فجاء عند "عبد المالك مرتاض[1]" بأنها " شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللغة والشخصيات، والزمان والمكان والحدث، يربط بينها طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع وهي سيرة تشبه التركيب بالقياس إلى المصور السنيمائي، بحيث تظهر هذه الشخصيات من أجل أن تتصارع طورا وتتحاب طورا آخر لينتهي بها النص إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية وعناية شديدة"[2].

ومعنى هذا أن الرواية عمل فني إبداعي يقوم على أسس متناسقة ومترابطة فيما بينها ومكملة بعضها للآخر وهي الشخصيات والزمن والمكان وعنصر اللغة الذي يمثل جوهر كل جنس أدبي، كل هذه العناصر التي ذكرناها تجتمع كي تنتج نصا أدبيا سرديًّا يضفي عليه كاتبه لمسات جمالية تجعله متفردا عن غيره من الأعمال الأخرى.

أما عن "كولي[3] COULET " فقد اقترح بعض المقاييس لتعريف الرواية وهي " عمل نثري، جنس ليس له شكل معين، لا يعكس سوى الملموس، يعتمد على الخيال، حكاية (مجموعة أحداث متسلسلة في الزمن) سرد (يقترض روايا)"[4] حيث لم يقدم تعريفا شاملا للرواية، بل اكتفى بإعطاء بعض الضوابط التي تنهض بها وتستند إليها الرواية ولا تقوم إلا بها.

[1] عبد المالك مرتاض أستاذ جامعي وأديب جزائري حاصل على شهادة دكتوراه في الأدب.
[2] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر1998. ص22.
[3] هنري كولي ناقد غربي
[4] عبد المالك مرتاض :المرجع السابق،ص24.

2. نشأة وتطور الرواية المكتوبة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

بغية تطويق المجتمع الجزائري و السيطرة التامة عليه و على هويته و تقييده، قام الاستعمار الفرنسي بفرض ظروف خاصة عليه، فسلط عليه حربا معنوية هي الأخرى تضاهي في قسوتها تلك الحرب المادية الدموية التي تكبدها ،هذه الأخيرة التي تمثلت في الاستيلاء على الأراضي و تعميرها بالمعمرين الأوروبيين و طرد أهلها الأصليين و ملاكها الحقيقيين منها، حيث دفع بهم الاستعمار إلى الهجرة نحو فرنسا ليجعل منهم الطبقة العاملة و الكادحة هناك، أما الأخرى و نشير إلى الحرب المعنوية فاستهدفت العقول بدل الأجساد، حيث كانت هذه الحرب من نوع آخر لا يقل عن الأول فتكا و تدميرا، بل لعلها الأشرس و الأخطر لأنها تستهدف ضرب القيم المعنوية و الروحية للإنسان.

ومن هنا فإن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ما هي إلا نتيجة لمجموعة من العوامل حتمها الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري عامة وعلى الكتاب الجزائريين خاصة، حيث بذل الكثير من الجهود في سبيل استبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية من أجل تكوين جيل جديد فرنسي اللسان وبالتالي فرنسي المبادئ والتفكير وبهذا كان الهدف المنشود على المدى البعيد طمس معالم الهوية الجزائرية واستبدالها بمعالم الهوية الفرنسية الدخيلة على هذا الشعب.

وفي ظل هذا الواقع الثقافي الجديد الذي كان خاضعا للواقع السياسي الذي نكس عيشة الجزائريين، " حمل الأدب الجزائري في داخله كل تناقضات الحركة الوطنية، الأمر الذي شعب اتجاهاته الفكرية والإيديولوجية وأدواته التعبيرية، بحيث استغلت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية كسلاح وجهه الكتاب المناضلون إلى صدر المستعمر"[1].

[1] واسيني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص681.

فجاءت الكتابة باللغة الفرنسية تحت هذا الظرف التاريخي السياسي المحتم، ليس من باب الإعجاب بل من باب عدم وجود خيار آخر، كما يقول الأديب "مراد بوربون[1]": "إن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، بل عن أية لغة تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي أو يعبرها عن حقيقة ذاته القومية"[2]، أي أن الأديب الذي يكتب باللغة الفرنسية أشبه ما يكون حاملا لحقيقة الذات للآخر أو للقارئ الفرنسي بالخصوص، و ما يعلل اللجوء إلى الكتابة بهذه اللغة الدخيلة هو سعي الكاتب إلى إيصال صوته إلى الضفة الأخرى، وكان السبيل في ذلك" بإخراج نفسه من لغته الأولى...، فلو اتخذ الأديب اللغة العربية لصعب على الآخر فهم خطابه، ولهذا السبب سعى الكتاب الجزائريون إلى اتقان لغة الكتابة في روايتهم، فاللغة المستخدمة كانت صحيحة وسليمة لا فرق بينها وبين لغة "بلزاك" أو "فكتور هيغو"[3]، فكان استخدام هذه اللغة الوسيلة الوحيدة للتواصل الأدبي ولتوصيل الحقيقة بعيدا عن ما أراد الاستعمار الفرنسي زرعه في الجزائريين من خلال ما كان يتم تعليمهم في المدارس الفرنسية.

لكن وبالرغم من فرنسية هذا الأدب إلا أنه يحمل في طياته من العروبة ما يحمله منها الكاتب الجزائري العربي ولو كان قلمه فرنسيا، فليست لغة الإنتاج الفكري هي من تحدد هوية كاتبه بل إن الموضوع أعمق من ذلك فيمتد إلى الإنتماء الروحي الذي يصعب حصره في اللغة التي تتم الكتابة بها، فيبقى هذا الأدب ذا انتماء جزائري بالدرجة الأولى، وهذا ما أكده باحثون، فقد عرف "جون سيناك Jean SENAC[4]" الكاتب الجزائري بأنه" كل كاتب اختار أن ينتمي إلى الأمة الجزائرية"[5]، أي أن كل كاتب اختار الانتماء الجزائري يعد بالضرورة كاتبا جزائريا بغض النظر عن اللغة التي يكتب ويعبر بها مادام ما يكتبه لا يخرج عن نطاق الوطن الجزائري وعن مبادئه الأساسية و عن جميع

[1] مراد بوربون صحفي وكاتب جائر من ولاية جيجل من مؤسسي اتحاد الكتاب الجزائريين.
[2] المرجع نفسه: ص70.
[3] ينظر: جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ط1، دار ميم للنشر، 2013، ص49.
[4] جون سيناك كاتب وشاعر وروائي جزائري.
[5] عبد المالك مرتاض: مرجع سابق، ص35.

قضاياه. وهذا ما ذهبت إليه الكاتبة "عايدة أديب بامية[1]" فتقول: " الأدب الجزائري هو كل عمل أدبي مؤلف سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية من قبيل أي من سكان الجزائر الأصليين"[2]، وبهذا اتفقت جل آراء النقاد الأدبيين في تحديد انتماء الكتاب الجزائريين انتماء جغرافيا لا لغويا، فكل كاتب مارس وظيفته على أرض تسمى الجزائر هو جزائري دون الرجوع إلى لغته.

كما جاء على لسان هؤلاء الأدباء أنفسهم (الأدباء الجزائريون الذين يكتبون باللغة الفرنسية) ما يؤكد هذه الروح القومية ويثبت هوية هذا الأدب وانتماءه، ففي هذا الصدد تقول "آسيا جبار[3]":" إن مادة قصصي ذات محتوى عربي وتأثري بالحضارة العربية والتربية الإسلامية لا يحد، فأنا إذن أقرب إلى التفكير بالعربية الفصحى مني إلى التفكير بالفرنسية دون إنكار لفضل هذه اللغة"[4]، فالشخصية الجزائرية بكل مقوماتها وبكل أفكارها تتجلى بوضوح في روايات هذه الكاتبة بغض النظر عن اللغة التي عبرت بها.

أما "كاتب ياسين[5]" فيقول عن رواياته أحد النقاد الفرنسيين "أنها روايات عربية مترجمة إلى الفرنسية لأنها كانت تحمل بصدق آلام هذا الشعب، فمن العيب ضرب هذه الإنجازات الأدبية التي أوصلت قضية الجزائر إلى خارج الحدود المحلية"[6]، فالمضمون إذن هو مضمون محلي ناقل للحقائق وترجمة لصور الواقع الأليم الذي عاشه الشعب الجزائري في حدود وطنه.

وهذا ما لا يختلف معهم فيه "محمد ديب[7]" في قوله: "قولوا إن أدبا قوميا يظهر الآن في المغرب عامة وفي الجزائر خاصة"[8]، فكانت الكتابة بالنسبة له جهدا وجهادا من أجل الحرية، واعتبرها حربا من نوع أخرى وبأسلحة مختلفة، حرب لا تقل أهمية عن الحرب الحقيقية.

---

[1] عايدة أديب بامية أستاذة لغة عربية بجامعة فلوريدا متخصصة في أدب الشمال الأفريقي وهي ذات أصول فلسطينية.
[2] عبد الملك مرتاض: مرجع سابق: ص37.
[3] آسيا جبار كاتبة مقالات وروائية وأكاديمية جزائرية.
[4] واسيني الأعرج: مرجع سابق، ص71.
[5] كاتب ياسين أديب جزائري وروائي وشاعر وكاتب مسرحي وأحد رواد القرن العشرين.
[6] واسيني الأعرج: مرجع سابق: ص72.
[7] محمد ديب كاتب جزائري وأديب يكتب باللغة الفرنسية في مجال الرواية والقصة القصيرة والمسرح والشعر.
[8] اواسيني الأعرج: مرجع سابق: ص73.

نجح هذا الأدب القومي ولمع نجمه والدليل على ذلك الاعتراف به ووصوله إلى دور النشر وتمكنه من الوصول إلى النضج والعالمية ووصوله إلى الضفة الأخرى، عبر مراحله المختلفة التي شهدت فيها الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية عدة تقلبات، واختلفت مضامينها مسايرة مع الأحداث التاريخية منذ الاستعمار، وفترة الاستقلال إلى غاية التسعينيات.

3. الرواية في فترة الاستعمار

إن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية هي وليدة فئة المثقفين الجزائريين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية المختلطة، والذين اتخذوا من اللغة الفرنسية وسيلة للتحدث بلسان الشعب والدفاع عن حقوقه وتحصيل حريته، كما هدفت هذه الكتابات إلى تحريك الفكر واستدعت إعماله لفهم مجريات الأحداث الحاصلة داخل الوطن، تحاكي الواقع وتفضح زيف الإدارة الفرنسية وما ترتكبه في حق الشعب[1].

ويؤرخ لأول رواية كتبت باللغة الفرنسية بسنة 1929[2] على حد تعبير المؤرخ "جان ديجو Jean DEJEUX[3]" بأنها البداية الحقيقية للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وذلك تزامنا مع صدور أول رواية بعنوان "أحمد بن مصطفى القومي" لمؤلفها "القايد بن شريف[4]"، وخلال الفترة ما بين 1920و1930 ظهرت أعمال روائية أخرى مثل: رواية "زهراء امرأة المنجمي"

« zohra la femme du mineur » التي كتبها "عبد القادر حاج حمو[5]" الصادرة سنة 1925، ورواية "مأمون بداية مثل أعلى"« Mamoun, l'ébauche d'un idéale » كتبها "شكري خوجة[6]" سنة 1928، وكذلك رواية" العلج أسير بربوسا" « Eleuldj captif de barbarousa » " للكاتب نفسه الصادرة سنة 1929.

[1] ينظر: جبور أم الخير، مرجع سابق: ص35 36.
[2] ينظر: أحمد منور، أزمة الهوية، (د ط)، دار الساحل للكتاب، الجزائر، 2013، ص91.
[3] جان ديجو مؤرخ وباحث وكاتب دراسات حول الأدب الفرنسي في المغربي العربي.
[4] القايد بن شريف هو محمد بن سي أحمد بن شريف أول كاتب جزائري باللغة الفرنسية.
[5] عبد القادر حاج حمو روائي جزائري باللغة الفرنسية في الفترة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية.
[6] شكري خوجة هو حسن شكري خوجة كاتب وروائي جزائري يعتبر أكثر الكتاب جرأة.

وسارت حركة التأليف والكتابة الروائية خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات ببطء، تكاد روايات هذه الفترة تعد على الأصابع بسبب صعوبة النشر وقلة القراء والظروف السياسية غير الملائمة في البلاد، لتأتي سنة 1945 وتغير مجرى الأحداث وتقلب الموازين ويتفجر القلم الإبداعي في وجه المستعمر، فكان الإنتاج وفيرا ومتميزا عن سابق عهده، بداية بالرواية التي كتبها "علي الحمامي[1]" بعنوان "إدريس" ورواية "لبيك" كتبها "مالك بن نبي[2]" سنة 1948 لتأتي بعدها أعمال "محمد ديب"، و"كاتب ياسين"، و"مولود معمري[3]" وغيرهم، والتي تضمنت رواياتهم العديد من الموضوعات أبرزها:

1.3. موضوع الاندماج

يبدو ظاهرا أن كتاب هذه الحقبة تشبعوا بالثقافة الفرنسية وتبدو عليهم صفة الخضوع، ينتمون إلى المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي فكانوا ضحية الإدارة الفرنسية ويؤمنون فوق هذا بفكرة التعايش مع الاستعمار ومناصرين لمبدأ الإدماج "إذ تحولت صورة فرنسا لديهم بل وتغيرت قلبا وقالبا، فالمعتدي على الأرض لم يعد كذلك، بل إن حضوره في البلاد كان من أجل الإصلاح ومساعدة شعب يعيش وسط المتوحشين"[4]، هذه الأفكار التي سعت فرنسا إلى ترسيخها بتقديمها للإغراءات الكاذبة والوعود الواهمة.

وأفضل مثال لذلك رواية "بولنوار الشاب الجزائري"

« Bou-elanouar, le jeune algérien » لصاحبها "رابح زناتي[5]" الذي يقول: "أن من حظ كل الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة في العالم هي المعلمة، فمعها تمكن الجزائري أن يخطوا خطوات عملاقة"[6]، وغايته في هذا هي الفرنسية، كذلك الأمر نفسه نجده عند "شكري خوجة" يورد على لسان البطل "مأمون" قائلا: "تمتلك فرنسا حقوقا علي، وأنا أشعر برغبة غامضة أن أقدم

[1] علي الحمامي كاتب ومناضل سياسي جزائري.
[2] مالك بن نبي مفكر جزائري واحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين.
[3] مولود معمري روائي وباحث جزائري في اللسانيات.
[4] جبور أم الخير: مرجع سابق، ص37.
[5] روائي جزائري باللغة الفرنسية.
[6] جبور ام الخير: مرجع سابق، ص37.

شيئا يفيدها...، وأنا العربي لي هدف وهذا رائع أن أجده، هي فكرة الوطن التي بدأت تتفتح بداخلي"[1]، فهو يشدو بفضل فرنسا عليه ويبدي امتنانه لها.

وبالرغم من أن هذه الروايات لم تعطي صورة واضحة عن الواقع الاستعماري الوحشي إلا أنها عرضت لبعض الممارسات ذات التأثير السلبي، التي كانت تطرحها الثقافة الغربية داخل المجتمع حيث نجد" مسألة حرية تعاطي المخدرات والخمور ولعب القمار، وهي عادات كانت تشكل جزء من الحياة اليومية العادية للفرنسيين وجعلوها شيئا مباحا لا يعاقب عليه القانون"[2]. وهذا ما لا يوافق الشريعة الإسلامية، فصوروا أثارها المدمرة على الأسرة المسلمة في الواقع الاجتماعي، وقد عالجت هذه الظواهر كل من روايتي "زهراء امرأة المنجمي" « Zohra, la femme du mineur » ورواية "مأمون بداية مثل أعلى" « Mamoun, l'ébauche d'un idéal »، وبهذه المواضيع فهي تعالج أزمة الهوية بالدرجة الأولى.

وفي خضم مختلف وجهات النظر السياسية (الاندماج، المساواة، الحرية، الحقوق) بدأ الاهتمام بالذات الجزائرية، واهتمت الروايات بدورها بتصوير انتماء الجزائريين الذي شتته الاستعمار الفرنسي، بين قيمه الوطنية من جهة والقيم الفرنسية الدخيلة من جهة أخرى، وكان السؤال المحير هو "كيف يمكن للجزائري أن يصبح فرنسيا مع ما في ذلك من تناقض، لأنه فرنسي بحكم واقع الاحتلال وما يترتب على ذلك في حال حصوله على صفة مواطن فرنسي فعلا، من تبعات والتزامات وكيف يبقى في الوقت ذاته عربيا مسلما؟"[3] وهذا السؤال في جوهره هو بحث عن الهوية وإن مصدر هذه التساؤلات في الرواية هي الأفكار التي دعت إليها القوى السياسية التي واكبت تلك الفترة، وأبرزها الرجل السياسي "فرحات عباس" الذي مثل التيار الاندماجي، والمنادي بمبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والأوربيين، "وقد شكلت هذه الموضوعات الخلفية الفكرية لمعظم الروايات التي ظهرت في

[1] جبور أم الخير:مرجع سابق، ص38.
[2] أحمد منور: مرجع سابق، ص 91.
[3] أحمد منور: المرجع نفسه، ص94.

الفترة التي سبقت 1952، فقد دافع الروائيون من جهتهم بطرق شتى عن الإسلام، وعملوا على التعريف به خاصة، وإظهار سمو مبادئه وعظمة رسالته"[1].

ومن بين الروايات التي طرحت هذه الأفكار نذكر: رواية "مريم بين النخيل" « Meriem dans les palmes » لصاحبها "محمد ولد الشيخ[2]" ورواية "بولنوار الشاب الجزائري" « Bou elnour, le jeune algérien » التي كتبها "رابح زناتي"، وكذا رواية "ليلى فتاة جزائرية" « Leila jeune fille algérienne » للكاتبة "جميلة دباش[3]".

2.3. موضوع الثورة

تأثرت الجزائر بما تمخضت عنه مجريات الحرب العالمية الثانية، ونتيجة لعوامل الصراع الداخلي والخارجي الذي أدى في النهاية إلى مظاهرات 8 ماي 1945، هذا اليوم الذي فضح عن روح القتال الجزائرية التي لم تطمس رغم السنوات الطويلة من السبات، كما أنه أرخ لمرحلة جديدة استأنف فيها الصدام بين الجزائريين والفرنسيين، ويرجع "مولود فرعون[4]" ذلك إلى تطور الحس الفني يقول:" خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريون، فشعرنا على إثرها بتهييب وابتهاج، أي خروجنا من المأزق ممكن، فخرجنا من ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع"[5]، فالكتابات الروائية بمثابة مواجهة حقيقية للاستعمار وثورة على شرائعه وقوانينه واستخدام الحبر بدل السلاح.

ففي سنة لا تبعد كثيرا عن تاريخ تفجير الثورة المسلحة، وذلك بالتحديد سنة 1948، شهد صدور روايتين: الأولى بعنوان "إدريس" « Idris » للكاتب "علي الحمامي" والثانية بعنوان "لبيك"" « Lebbeik » للكاتب "مالك بن نبي"، فالأول اختار أن يعبر عن طفرة نوعية على مستوى

[1] أحمد منور: المرجع نفسه، ص97.
[2] محمد ولد الشيخ كاتب وروائي ومسرحي جزائري عرف بأب الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.
[3] جميلة دباش ناشطة نسوية وصحفية وكاتبة مقالات وروائية جزائرية فرنسية.
[4] أديب وكاتب جزائري باللغة الفرنسية.
[5] فاطمة الزهراء حبيب: ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015_2016، ص22.

الوعي الوطني عن كفاح شعوب شمال إفريقيا وتطلعها للانعتاق من رقبة الاستعمار، فكانت سباقة في طرح موضوع الكفاح المسلح كسبيل وحيد للتحرر من الاستعمار، أما الثاني فعاد لمعالجة موضوع الخمرة لكن من منظور جديد، والذي يرى أنه من شروط النهضة الجزائرية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الرجوع إلى الأصل، أي إلى الدين الصحيح[1].

حيث شكلت هاتان الروايتان بنية الأساس لاتجاه جديد للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وخاصة من حيث المضامين التي حملتها الروايات، هذه الأخيرة التي أخذت على عاتقها تصوير واقع البؤس والحرمان الذي يعيشه الجزائري وفضح الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي، ومن بين الروائيين الذين أحدثوا هذا التغيير والذين سجل التاريخ أسماءهم اخترنا أن نذكر:

- **محمد ديب**

أحدث "محمد ديب" قفزة نوعية في تاريخ الرواية الجزائرية من خلال رواية "الدار الكبيرة" « La grande maison » سنة 1952، متجاوزا الصورة النمطية المقدمة سابقا عن العلاقة المثالية بين الإدارة الاستعمارية والأهالي"، يتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب ويصف أحوالهم المعيشية القاسية...، ولأول مرة تتحدث الرواية عن النضال السياسي وعن مناضلين يعيشون في الخفاء مطاردين من قبل البوليس الاستعماري، ولأول مرة تطرح عدة تساؤلات محددة وصريحة عن الهوية الوطنية وعن مفهوم الوطن وعن الهوية الحقيقية للجزائريين"[2]، وجاءت أعماله اللاحقة لتؤكد هذا الوضع والتي عرفت باسم الثلاثية، ولا سيما روايتي" الحريق" « L'incendie » الصادرة سنة 1954 ، و"النول"

« Le métier à tisser » اللتان تعتبران امتدادا لرواية "الدار الكبيرة" والتي شكلت مع بعضها ثلاثية لتنبئ بالثورة، وكانت بذلك إلياذة الجزائر قد ولدت أو كما يسميها الشاعر "لويس أراغو Louis

[1] ينظر: أحمد منور، مرجع سابق، ص99 101.
[2] المرجع نفسه: ص102 103.

ARAGON[1]" مذكرات الشعب الجزائري"، فاستحق محمد ديب اسم "بلزاك الجزائر" عن جدارة، "واستطاع محمد ديب أن يسير بالرواية في اتجاهات أكثر واقعية وأكثر تقدمية متجاوزا بذلك الطروحات الإصلاحية التي كانت الإبداعات المكتوبة باللغة العربية ما تزال غارقة فيها بشكل عام"[2].

- **مولود معمري**

عالج "مولود معمري" في رواياته موضوعات الثورة التحريرية وكذا الموضوعات الاجتماعية، المتمثلة في ضياع الفرد الجزائري أمام صعاب الحياة وضياع الشعب وآماله أمام الحرمان المتواصل، فكتب" مولود معمري" سنة 1952 "الربوة المنسية" « La colline oubliée » وكذا رواية "سبات العدل" « Le sommeil du juste » وأعماله هذه تسير في خط متواز مع تطور الوقائع السياسية في الجزائر...، لتصور الوضع في الجزائر في ظلال الاحتلال الفرنسي، ويعبر الكاتب عن مآسي الشعب وأحزانه وبؤسه"[3].

- **مالك حداد[4]**

ظل "حداد" يحمل مأساته المزدوجة "الاستعمار" و"اللغة" التي حددت مسار كل أعماله، وبالرغم من ذلك فقد عبر عن هموم وطنية وقومية وإنسانية، وتمثل أعماله رؤيته الأكثر عاطفية تجاه ثورة التحرير" فهي تعتبر مجموعة من العواطف والأحاسيس، أكثر منها مجموعة الأفكار والآراء، تشكل رواياته قصائد تأثيرية، تظهر فيها من حين لآخر تصريحات وطنية وحماسية وهو ينظر إلى الحدث كشاعر بقلبه قبل فكره"[5].

بهذا الأسلوب صور "مالك حداد" وقائع الثورة المسلحة وقدم نماذج من صور المقاومة وأخذ من كل فئات المجتمع الجزائري، فكانت رواية "الانطباع الأخير" « La dernière impression » الصادرة

[1] لويس أراغو شاعر فرنسي وروائي ومحرر.
[2] واسيني الأعرج: مرجع سابق، ص74.
[3] حفناوي بعلي. أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، ص167.
[4] مالك حداد شاعر وكاتب وروائي جزائري.
[5] حفناوي بعلي: مرجع سابق: ص179.

عام 1952، "رصيف الأزهار لا يجيب" « Le quai aux fleurs ne répond pas » سنة 1961، أما رواية "التلميذ والدرس" « L'élève et la leçon » سنة 1960، فتعد من أعمق صوره الفنية للمتناقضات الدامية والتي برز فيها أسلوبه بشكل جلي "فتكاد الرواية في كثيرة من المواضيع تتحول إلى قصيدة شعرية، وهذا يفسر أن البناء الذي آلت إليه هو" المونولوج"، ... وهي في جوهرها مونولوج طويل"[1].

فيقدم إبداع "مالك حداد " صورة عن النوعية الجديدة للرواية الواقعية الجزائرية، فموضوعه كان مرتكزا على الحياة الروحية للشخصية، التي تنطوي على القدرة على معارضة هجوم القوى الهدامة والمعادية للإنسان، دارت روايات "مالك حداد" حول الثورة الجزائرية ونلمسها في دراما من المشاعر والعواطف.

- **كاتب ياسين**

تجاوز "كاتب ياسين" القواعد التي قيدت الرواية الكلاسيكية ورفض التعامل باللغة العربية، من أعظم منجزاته رواية "نجمة" « Nedjma » التي صدرت عام 1956، والتي لاقت اهتمام النقاد العرب والغرب على حد سواء، فهي تعد "رسالة سياسية بالدرجة الأولى، تستسقي قوتها من التحليل الطويل والدقيق للاضطهاد الاستعماري على الجزائريين، والكشف بصورة جلية عن مأساة شعب هو الشعب الجزائري"[2]، فهي تصوير لمجازر 8 ماي1945، التي قمع فيها المستعمر بوحشية المتظاهرين من أجل الحرية. حققت هذه الرواية درجة عالية من الفنية "فالشكل الفني لرواية "نجمة" قريب غاية القرب من الفن التشكيلي في أحدث مراحله، إذ هي تبدو كلوحة تجريدية وبالتالي تخلو الرواية من البناء الكلاسيكي في أية صورة من صوره"[3]، وهناك وصف آخر لها بأنها عبارة عن "رواية شعرية، إذ

[1] حفناوي بعلي: مرجع سابق، ص180.
[2] جبور أم الخير: مرجع سابق، ص394.
[3] حفناوي بعلي: مرجع سابق، ص183.

يمكن قراءة فصولها كنصوص شعرية مستقلة"[1]، إلى جانب تصويرها للواقع وأحداث المأساة الجزائرية المطالبة بالتحرر فقد مثلت الشكل الأرقى للرواية الجزائرية الواقعية (الفنية).

- **آسيا جبار**

مثلت هذه الروائية وثيقة قيمة للمجتمع النسوي الجزائري، وكان موقفها ككاتبة يختلف عن مواقف الجزائريين الآخرين "فهي ترى أن الرواية يجب ألا تعكس حوادث العهد الذي تكتب فيه، فكأنها تحتاج إلى البعد الزمني، الذي يتطلبه عمل المؤرخ لتقسيم صادق للأحداث"[2]، فكتبت روايتها العطش لتعبر عن الرغبة الشديدة للشاب الجزائري في التحرر من الاستعمار، ثم تخوض أكثر في أحداث الثورة في رواية «القنابر الساذجة" « Les alouettes naïves » وتغوص أكثر في أعماق الجزائريين.

4. الرواية في فترة ما بعد الاستقلال

ألقت الثورة التحريرية بظلالها على الرواية الجزائرية التي تلت استقلال الجزائر، فكانت الأعمال الروائية التي ظهرت في فترة الستينيات في أغلبها للجيل نفسه الذي كتب إبان الثورة، والذين عاشوا الحقبة الاستعمارية وتقلباتها، كما كانوا شاهدين على تحرير بلادهم وتحقيق استقلالها، ولم يكن بوسعهم التخلص من إفرازات الثورة، فاستمر موضوع الثورة كإطار عام لبناء أحداث هذه الروايات حيث يمكن وصفها "بأنها كانت كلها تصور بطش الاستعمار وبشاعة أعماله من جهة، وتشيد من جهة أخرى بكفاح الشعب وتتغنى بأمجاده ومآثره القديمة والحديثة، وتعمق الإحساس بالوعي الوطني ووحدة الأمة"[3]، فهي تلتقي مع كتابات وأبحاث تاريخية واجتماعية ظهرت في هذه الفترة.

ونذكر أمثلة من روايات فترة التسعينات منها: رواية "أطفال العالم الجديد"

« Les enfants du nouveau monde » سنة 1962 لـ "آسيا جبار" ورواية "الأفيون والعصا"

« L'opium et le baton » 1965 لـ "مولود معمري" ورواية "أصابع النهار الخمسة"

[1] جبور أم الخير: المرجع نفسه، ص386.
[2] حفناوي بعلي: مرجع سابق، ص188.
[3] أحمد منور: مرجع سابق، ص108.

« Les cinq doigts du jour » لـ "حسين بوزاهر[1]".

وقد اختار الكتاب الجزائريين العيش خارج الجزائر بعد سنة 1965، بحجة عدم توفر المناخ الديمقراطي للتعبير عن آرائهم بحرية، إثر الانقلاب العسكري الذي قام به "هواري بومدين[2]" على نظام الرئيس" بن بلة[3]"[4]، وكان من نتائج ذلك أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية قد عرفت توجها جديدا تمثل في:

- **النزعة الاجتماعية (الانتقادية)**

ظهرت هذه النزعة لدى الكتاب بعد منتصف الستينات ونشرت معظم رواياتهم في فرنسا، يجمعها قاسم مشترك واحد، يتمثل في النقد شديد اللهجة للأوضاع السياسية والاجتماعية التي خلفت صعوبة التعايش مع مستجدات الاستقلال، فكان من مهام الروائيين أنهم "نددوا بتحول الحكم على يد العسكر عن أهداف الثورة ومسارها النضالي، وانتقدوا الأوضاع الاجتماعية السيئة التي يعيشها الشعب"[5]، فالصراع تحول من صراع على الوجود أو عدم الوجود إلى صراع اجتماعي وطبقي، حيث تحولت بعض الطبقات الشعبية والنضالية إلى ضفة الجهة الانتهازية الباحثة عن مصالحها الشخصية على أنقاض الشهداء.

ومن بين هذه الروايات نذكر روايتي "رقصة الملك" « La danse du roi » سنة 1968، ورواية "إله أرض البربر" « Dieu en barbarie » سنة 1970 لـ "محمد ديب" الذي انتقل لدراسة العلاقات الإنسانية على المستوى النفسي، وقد حاول أن يشرح النفس البشرية وأن يتعمق في جوهر الذات الإنسانية، "حيث تخلى عن المنهج الذي يسميه واقعيا ويعلن سطحيته وعجزه...، كما تخلى عن تثبيت

[1] حسين بوزاهر شاعر وكاتب جزائري باللغة الفرنسية.
[2] هواري بومدين الرئيس الثاني للجزائر المستقلة.
[3] أحمد بن بلة الرئيس الأول للجزائر المستقلة.
[4] ينظر: أحمد منور:المرجع السابق: ص 117 118.
[5] فاطمة الزهراء حبيب: مرجع سابق، ص25.

الأحداث وتصوير الحياة المحسوسة والصدق، ويعتبر أن مهمة الفنان هي نقل الهلوسات والنزوات الباطنية التي تعبر عن وجهة نظره الحقيقي للإنسان، وتميز وضعه في العالم المعاصر"[1].

كذلك نجد روايتي "التطليق" « La répudiation » سنة 1969، ورواية "ضربة شمس" « L'insolation » سنة 1972 لـ "رشيد بوجدرة[2]"، ففي رواية التطليق مثلا" ينتقد الأوضاع في الجزائر قبل الاستقلال وبعده، فهاجم العادات والتقاليد بنفس العنف الذي هاجم به الجزائر الثورية خاصة الإرهاب الذي ورثه من النظام الاستعماري"[3]، فجاءت جل رواياته المكتوبة باللغة الفرنسية لمعالجة مشاكل ما بعد الاستقلال وكان نقده موجها للمسؤولين، ونقد السياسة الجزائرية خاصة.

وقد استمر هذا التوجه الانتقادي طوال فترة نهاية الستينات والسبعينات، حيث رصد الكتاب مخلفات الاستعمار الفرنسي التي انعكست سلبا على المجتمع، لكن مظاهر هذا التوجه تعددت وتنوعت ولم تقف عند حدود المعارضة السياسية البحثية، أو نقد الأوضاع الاجتماعية والفساد الإداري، فمنذ السبعينات طرحت مسائل أخرى، لعل أهمها مسألة الهوية، والهوية الأمازيغية بالتحديد، التي عبرت عنها بشكل مباشر بحوث "مولود معمري"، خاصة في روايته الأخيرة "العبور" « La traversée » الصادرة سنة 1982، و كذلك أعمال "نبيل فارس[4]" الروائية مثل "ذاكرة الغائب" « Mémoire de l'absent » سنة 1974، معظم هذه الكتابات طرحت العديد من الأسئلة حول الهوية الجزائرية المستلبة والثقافة الأصلية المغيبة، وهذا ما تذهب إليه رواية " الباحثون عن العظام " « Les chercheurs d'os » سنة 1984، للكاتب "الطاهر جاووت[5]".[6]

[1] حنفاوي بعلي: مرجع سابق، ص174.
[2] رشيد بوجدرة روائي جزائري يكتب باللغتين العربية والفرنسية.
[3] مرجع سابق. ص193.
[4] نبيل فارس روائي فرنسي من أصل جزائري.
[5] الطاهر جاووت شاعر وروائي وصحفي جزائري
[6] ينظر: أحمد منور: مرجع سابق، ص121 122.

أخذت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في هذه الفترة على عاتقها مسؤولية محاربة الظواهر التي شوهت المجتمع آنذاك وتفشت فيه، من الانتهازية والرشوة والجهوية وغيرها، وتميزها مسحة إيديولوجية دافع فيها كل عن آرائه ومبادئه وتوجهاته.

5. الرواية في فترة العشرية السوداء

ارتبطت الرواية في هذه الفترة بسنوات المحنة الجزائرية، إذ اتخذت النص الروائي المسألة الوطنية المادة الخام لبنائه السردي، هذه المأساة التي تعود خلفياتها إلى أحداث 5 أكتوبر 1988، والتي تمخض عنها تحول هام في النظام الجزائري.

وقد اتخذت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية نصيبا وافرا في معالجة موضوع العشرية السوداء، وكانت أسيرة لقصة العنف التي عايشها الشعب الجزائري، "وعموما وجدت الرواية نفسها بفعل عوامل الانحدار السياسي والاقتصادي والاجتماعي بعد أحداث أكتوبر 1988 أمام واقع مرير ومستقبل مجهول"[1].

ففي مطلع التسعينات، ومع صعود المد الإسلامي ودخوله بقوة معترك السياسة "أخذت تظهر أعمال روائية تنتقد هذا المد نقدا لاذعا، وتصوره في شكل خطر سياسي واجتماعي داهم يهدد الديمقراطية والحريات العامة، ومن ثم تدعو بشكل صريح ومباشر إلى التصدي له ومحاربته بكل الوسائل"[2]، وهذا ما جعل من الكتابة الوسيلة الوحيدة بين يدي الأدباء لتجاوز هذه المحنة، والتعبير عن المعاناة التي تعيشها فئات المجتمع المختلفة.

وعلى حد تعبير "فيصل دراج[3]" أصبحت الكتابة في ذلك الظرف التاريخي "المجال الآمن الأكثر مواءمة للتعبير عن الواقع المعيش، تصرح بما لا يقول به عالم السياسة وتذيع ما لم يقل به عالم

[1] عامر رضا وكربيع نسيمة: رواية الازمة المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الترجمة، مجلة اللغة العربية وآدابها، مجلة دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي، العدد الأول، 2008_2009، ص239.
[2] أحمد منور: مرجع سابق، ص123.
[3] فيصل دراج ناقد وكاتب وباحث فلسطيني.

الاجتماع، وتنشر ما يخفيه عالم الاقتصاد ويحجبه"[1]، أي أن مهمة الكتابة هي التشخيص لويلات الإرهاب وأثرها على الافراد والجماعات والقرى والمدن، الأمر الذي أقحمها في مواجهة الواقع المعيش وأسئلة الهوية والإيديولوجية وأسئلة الوطن الجريح.

وقد مزج الروائيون بين فنية الأدب وواقعية الأحداث في قالب سردي، لكن "الكثير من الأعمال قد نقلت بحرفية وسقطت في التقريرية المحضة وذلك لأنها جسدت العلاقات الآلية بين بعض الكتاب والواقع، وربما هي من العينات التي قيل عنها (الرواية الاستعجالية)، لأنها روت أخبارا ونقلت أحداثا عايشها أصحابها مما أفقدها أدبيتها، خاصة بعد أن كرس لها قاموس لغوي مصدره الصحف وخطب السياسة"[2]، فلامست الواقع بشكل كبير وعكست الأوضاع السائدة، وكان اقتصارها على الوظيفة اللغوية التبليغية.

وبالرغم من ذلك فإن هذه الكتابات اشتركت كلها في التنديد بالواقع وإدانة الأعمال الدموية، وذلك "في ظل الفراغ الثقافي الذي أحدثته الأزمة من شتات فكري وصراع نفسي، يتجرع مرارته كل ثانية المثقف والمبدع والفنان في انتظار رصاصة غدر تكمم أفواههم للأبد"[3]، لكن أقلام الروائيين لم تتوقف عن نقل الأوضاع ومعاينتها، حيث كان هذا الوضع السائد منعطفا في حياة الكتاب كأفراد يحملون قلق الوجود، وقد "أخدت كتاباتهم شكل السيرة الذاتية المعتمدة على التحليل الشخصي لمنجزات الذات، كمحاولة تعتمد القدرات الكامنة في اللغة والفن من أجل فهم المستعصي وتأمل الماضي والحاضر، فجاءت العناصر السيرية ملتبسة بالتخييل في كثير من الأعمال الروائية"[4]، ومن ثم تحول الكاتب إلى راوٍ للأحداث أو هو البطل نفسه.

[1] عبد الله شطاح: مدارات الرعب (فضاء العنف في رواية العشرية السوداء)، (د ط)، دار العباسي يوسف للطباعة والنشر،الجزائر، 2014، ص143.
[2] مجموعة من المؤلفين: الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي سعيدة، 2007_2008، ص62.
[3] مجموعة من المؤلفين: مرجع سابق:ص62.
[4] عبد الله شطاح: مرجع سابق، ص144.

ولعل من أهم الأمثلة التي واكبت الأحداث وصورت الوقائع روايات "رشيد ميموني[1]" مثل رواية "شرف القبيلة" « L'honneur de la tribu » سنة 1989، رواية "حزام الغولة" « La ceinture de l'ogresse » في 1990 وأبرزها رواية "اللعنة"« Malédiction » سنة 1993، التي صورت في اعتصام الإسلاميين في ساحة أول ماي 1991، "وإن أحداثها تدور بقسم الاستعجالات بمستشفى مصطفى الجامعي (مما يقيم علاقة مباشرة بين تسمية أدب الاستعجال وموضوع الرواية)"[2].

كذلك ظهرت تجارب أخرى في الرواية التسعينية باللسان الفرنسي، "فمثلا كان الأديب "عبد الرحمن الوناس[3]" من الذين كتبوا الرواية الذاتية "رأس المحنة"« Ras el mahna » سنة 1991، حيث رصدت التحولات السياسية التي حصلت في الجزائر"[4]، إضافة إلى الروائي "رشيد بوجدرة" في روايته "تيميمون" « Timimoun » سنة 1994، و"التي تمثل رحلة وسط الصحراء الشاسعة بمختلف تضاريسها وسمائها الصافية، فيهيم الكاتب مع هواجسه وحديثه الداخلي مع نفسه عن ذكرياته وماضيه في هذا العالم الصحراوي البعيد عن ضوضاء الإرهاب وعنفه"[5]، فكانت من أهم الروايات التي عالجت المحنة الجزائرية، وصولا إلى روايات "ياسمينة خضرا[6]" التي اشتملت على أحداث مختلفة عايشها خلال العشرية السوداء، وكانت الأحداث المأساوية جزء من تاريخه الشخصي باعتبار أنه كان ضابطا في الجيش الجزائري، ويتجسد ذلك في كل من رواية "مكر الكلمات" ورواية "الكاتب"، وكانت هذه النصوص شهادات حية عاينها عن كتب الكاتب "ياسمينة خضرا"، حيث يروي

[1] رشيد ميموني أديب جزائري,
[2] أحمد منور: ثقافة الأزمة (مقالات)، ط1، الوكالة الإفريقية للإنتاج السنيمائي والثقافي، الجزائر، 2009، ص36.
[3] عبد الرحمان الوناس أديب جزائري باللغة الفرنسية.
[4] عامر رضا وكربيع نسيمة: مرجع سابق، ص141.
[5] زهرة شهير: صورة المجتمع الجزائري في روايات العشرية السوداء، مذكرة لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة،2015_2016، ص68.
[6] ياسمينة خضرا هو محمد مولسهول كاتب جزائري مغترب يكتب باللغة الفرنسية.

يوميات الضابط الذي كأنه الكاتب في تعقب الجماعات الإرهابية، وبقايا المجازر في المداشر والقرى التي كان يدخلها بجيشه عقب كل عملية دموية.

بالإضافة إلى روايتي "بماذا تحلم الذئاب"« A quoi rêvent les loups » سنة1999، ورواية "خراف المولى" « Les agneaux du Seigneur »، سنة 1998، وهما نصان يشتملان على كل مقومات أدب الحرب وعلى رأسها مقوم التجربة الشخصية والمشاركة الفعلية في الوقائع الحربية[1].

هذا وقد تفرد كل سارد بنظريته للمواقف السائدة، إلا أن هناك ما يجمع بين تلك الكتابات في طرح المواضيع والاهتمام بنفس القضايا المطروحة، ومن بين هذه المواضيع نذكر:

1.5. موضوع الالتزام

إن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في فترة التسعينات ولدت إنتاجا سرديا مواكبا للأزمة يصب كله وينبع من الأوضاع المفجعة التي عاشتها الجزائر منذ أحداث 1988، التي تجلت في نصوص فئة الروائيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية، وهذه الفئة قد "وجدت في الأزمة قضية التزام جديدة، في زمن أعلن فيه الأمريكان نهاية التاريخ والإيديولوجيا... كان لابد لهذه الفئة أن تجد لها "حائط مبكى" تكفر فيه بالنحيب على الأحجار عن قضاياها التاريخية الماضية، وقد وجدت في الأزمة الحائط المنشود"، ففي هذا الواقع وجدت فئة الكتاب نفسها مجبرة أكثر مما هي معبرة ومنشغلة بقضايا المجتمع.

فوظيفة هذا المنجز الروائي جاءت " كضرورة اقتاضها واقع محلي مخصوص أعلن الحرب على الثقافة والنور، الأمر الذي عجل بظهور ذلك الزخم من النصوص التي شغلتها الحرائق المشتعلة في أطراف ثيابها عن مقتضيات القول الفني وشروطه"[2]، فلا نكاد نعثر على كاتب لم يتفاعل مع كل هذه الصراعات والهموم ويعيشها ويدركها بعمق.

[1] ينظر:زهرة شهير: مرجع سابق، ص70.
[2] أحمد منور: مرجع سابق، ص37.

وجاء الالتزام يعبر عن نفسه من خلال الرفض المطلق للنهاية المفجعة التي أخذها المسار الديمقراطي الفني في التجربة الجزائرية، " وهكذا كانت الرواية التسعينية، من ناحية التّيمات تحمل طابع التماثل والتشابه...، تتميز بدورها بتمركزها حول هموم الجماعة، ومن ثم بالواقع للمجتمع...، وإن تمركز الرواية التسعينية حول هموم الجماعة لا يحيل إلى وحدة المعتقد الإيديولوجي الذي تفرقت به السبل في هذه الفترة، وإنما لوحدة التجربة العامة للمجتمع المتمثلة في تجريب العنف كتجربة جوهرية وشاملة"[1].

2.5. موضوع المثقف

سجلت النخبة المثقفة وجودا في النص السردي التسعيني، مما جعل هذا الوجود يخلق نوعا جديدا مغايرا للكتابة قبل فترة العشرية السوداء، إذ تميز النص السردي التسعيني عامة والمكتوب باللغة الفرنسية خاصة بمعالجة "قضية المثقف"، بعرض مختلف المواقف التي تعرض لها البطل المثقف، و"مهما يكن فإن شخصية المثقف ومكانته في المجتمع ودوره الفكري الخطير، والإهمال الذي أولته إياه السلطة السياسية فضلا عن الضريبة الثمينة التي قدمها بين يدي نبوغه وألمعيته، كانت موضوعا متواتر الحضور ومكثف الدلالة في المتن التسعيني برمته"[2].

فلا تكاد تخلوا معظم النصوص الروائية من اتخاذ شخصية المثقف كبطل روائي والاهتمام به، وذلك راجع إلى المكانة التي يحتلها في المجتمع ودوره الفكري الخطير الذي يسببه للأعداء بفضل فطنته وحنكته، "ومن ثم الالتفات إلى الشخوص وموقفها ورؤيتها للأحداث والأشياء والوقائع وإلى بنائها النفسي والآليات العقلية والروحية التي تطورها لمواجهة الموت المتربص"[3]، فتركيز الروائيين على حلقة المثقفين من خلال وصف أحوالهم ورصد المصير الوحيد الذي يجمعهم.

---

[1] عبد الله شطاح: مرجع سابق، ص151.
[2] مرجع سابق: ص143.
[3] عامر رضا وكربيع نسيمة: مرجع سابق، ص244.

ويمكن التمثيل لهذا الموضوع بأعمال "ياسمينة خضرا"، الذي أفاد في بناء متخيله من تجربته العسكرية الطويلة في مواجهة الإرهاب ولا سيما في نصيه: "بماذا تحلم الذئاب" و"خراف المولى"، فرصد في نصه الأول أحوال شخصية بطله الذي كان يحلم بالفن ليجد نفسه آخر المطاف متعثرا، متورطا ومساهما بشكل كبير في صنع الموت والعنف،" ويركز الكاتب على تتبع مسار شاب جزائري هو "نافع وليد" الشاب الفنان البسيط الذي رمت به الأقدار السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية في متاهة العنف، إذ نجده ينحدر شيئا فشيئا إلى هاوية الإرهاب"، وتلك حال الكثير من الشباب الجزائري.

أما في الرواية الثانية (خراف المولى)، والتي تتحرك شخصياتها في إحدى قرى الغرب لتعالج موضوع الأزمة بالنسبة للمثقفين، إذ "أن علاقة التوتر والحقد والكراهية بين النماذج النمطية التي بلور الناس ملامحها، تبدو وحدها مبررات كافية لجميع أصناف العنف الدموي تحت طائلة حسابات موغلة في التقدم"[1]، فبحث في أعماق الشخصيات ومكبوتاتها في هذه البيئة، ورصد لمختلف الصراعات التي ولدتها الأزمة وذلك من الزاوية النفسية لشخصية المثقف وأحواله وبهذا تحولت محنة الجزائر إلى محنة ثقافية.

3.5. موضوع العنف

أدى عنف الأزمة وشدتها إلى تفاعل الرواية مع الأحداث وتطويع لغتها ومعاصرة أوضاعها، فجاءت اللغة في رواية المحنة ناطقة بلسان حال الواقع المعيش مترجمة لأحداث العنف الإرهابي المسلح التي عانت منه الجزائر، "وكان موضوع العنف مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية بحيث يمكن إعطاء هذه الأخيرة تعريف رواية العنف"[2]، حيث صاحب محنة العشرية السوداء فضاء سردي تميز بالعنف من خلال مظاهر التخريب والنهب وصور الجثث المتعفنة على حافة الطرقات، وهذا ما نلمسه في فضاء المدينة في رواية "بماذا تحلم الذئاب" لـ "ياسمينة خضرا"، إذ صور الكاتب الفرق بين

[1] عبد الله شطاح: مرجع سابق، ص149.
[2] زهرة شهير: مرجع سابق، ص81.

مكان إقامة البطل "نافع" لدى عائلة "رجا" ووصف النعيم الذي تعيش فيه من ملبس ومأكل في تلك القصور الفخمة، بالقياس إلى الواقع البئيس في تشكيلات أخرى لفضاء القصبة والأحياء القصديرية على أطراف العاصمة، وبعد تأزم أحداث الرواية وانخراط "نافع" في تلك الجماعات الإرهابية تجلا الفرق الواضح بين الفضاءين، فيجد البطل نفسه في اصطدام بين المتناقضات، بين الحرمان والوفرة، الفقر والثراء، والخيبة العميقة من البلاد والعباد بالاستغلال لخيرات البلاد[1].

ومن هنا بدت أشكال العنف ظاهرة في هذه الرواية وغيرها من الروايات المواكبة لهذه الفترة، فمضمونها يحيل أساسا على طبيعة المجتمع الجزائري وواقعه، وبالرغم من أن هذه النصوص جاءت كرد فعل استعجالي ليعالج الأزمة وأحداثها، وأعطى الأولوية للمضمون على حساب البناء الفني "إلا أنها مثلت رؤية جديدة خلفتها تلك المرحلة حيث صنعت قاموسا جديدا تملؤه مفردات الدمار والقتل والموت"، فاستخدام هذا القاموس ناجم عن العنف الدموي الممارس في حق الأبرياء، فتظهر اللغة مزدحمة بألفاظ العنف كالاغتيال والنهب والتدمير والتعذيب والحرق...

6. خصائص ومميزات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

لعل أهم مميزات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية هي واقعيتها حيث اهتم هذا الأدب بالتصوير الواقعي الدقيق للعادات والتقاليد الجزائرية واستعمال المصطلحات الجزائرية باللغة الفرنسية مبرزا بذلك العناصر الثقافية للمجتمع الجزائري بشتى أنواعها وأصنافها وعلى اختلافها وتمايزها. ويمكن لقارئ هذه الرواية أن يكشف العديد من الخصائص والمميزات، ومن أبرزها انعكاس ظاهرة الفقر على معظمها، وتصوير الصراع الحاد بين الإنسان والجوع ومعاناته اليومية لتحصيل قوته، إضافة إلى ارتباطه الوثيق بأرضه وكفاحه الدائم من أجل الحفاظ عليها، وظهور عدد من الكتاب الجزائريين مستخدمين اللغة الفرنسية في أعمالهم الأدبية من قصة ورواية ومسرح وشعر، وبالتالي

[1] ينظر: عبد الله شطاح: مرجع سابق: ص148.

جاءت تلك الأعمال منافسة لأعمال الأدباء الفرنسيين، وهذا ما جعل الكثير من الدارسين يعتقدون أن هذا النتاج الأدبي هو فرنسي قلبا وقالبا، مما أثار حفيظة الغيورين عليه إلى التصدي لهذا الرأي، وهذا ما خلق لهم مشكل الازدواجية في الأدب الجزائري خاصة بعد الاستقلال، فاختلف الكتاب أنفسهم حول هوية هذا الأدب فهناك من شعر بأساه في استعمال الفرنسية أمثال "مالك حداد" مبينا شعوره بعقم اللغة الفرنسية وعجزها عن التعبير الحقيقي عما يخالج كيانه وأحاسيسه التي تلفها العروبة، في المقابل نجد" كاتب ياسين" يدافع عن فاعلية اللغة الفرنسية معتبرا أنه لا عيب في استخدامها ويعتبرها فرصة وثورة للثقافة الجزائرية[1] بل وغنيمة حرب يستفاد منها.

إذن يمكننا القول إن هذا الأدب نتاج جزائري بحت دون التشكيك في وطنيته وانتمائه طالما كان سلاحا من أسلحة معركة هذا الشعب بكل طبقاته، يعبر عنه ويتحدث عن تاريخه وعن المرارة التي عاشها وعن ذلك الواقع الأليم الذي قاساه، كل هذا من أجل إحياء تلك التقاليد والقيم من جديد والمحافظة على شخصية الأمة الجزائرية العربية ووحدتها.

7. الترجمة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

تصنف الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ضمن أبرز الاتجاهات الإبداعية والتيارات الفنية الجزائرية، إن لم تكن على رأسها لوفائها بالغرض الذي كتب لأجله في مرحلة الثورة وبعد الاستقلال وما بعد ذلك بكثير وهو وصف لسان حال الشعب الجزائري وإثراء الأدب الجزائري بذلك، لتجد نفسها أمام ضرورة نقلها ليس للغة التي كتبت بها بل للغة الكاتب الذي قام إليه، كي لا تبقى حبيسة اللغة الفرنسية أولا وتوسيع نطاق الاستفادة منها وتطوير اللغة العربية ثانيا. وتتميز الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي بالتعدد اللغوي داخل المتن السردي إلى العامة، لتعطي الرواية بصمة التفرد والانفراد والخصوصية الجزائرية والغالب في كل الأعمال الإبداعية هو بقاء الفصحى كلغة مركزية ولكن

[1] ينظر: سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية، منشورات المركز الجامعي، بيروت، 1963، ص 82.

استعملت اللغة الفرنسية في بعض المواضع وكل هذا الاستخدام في حدود ما لا إلى درجة المساس بهوية اللغة للرواية[1].

ومن ثمار ترجمة الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي إلى اللغة العربية هو أنها أصبحت ثنائية المخزون الفكري واللغوي والثقافي، الذي لا يعدو عن كونه مضمونا جزائريا، فقد اعتمد الخطاب السردي المترجم في خلفيته على الواقع الحياتي بكل حيثياته التي تحمل فنيا الواقع المرير الذي تعالجه الرواية.

إن القارئ لتلك الروايات المترجمة إلى اللغة العربية، قد لا يعرف أنه نص مترجم لأن النص عربي الانتماء جزائري الهوية حتى وإن كتب بغير اللغة العربية، فهناك في النص المترجم ما يلغي فرق الثقافتين الفرنسية والعربية، فقد كتبت الروايات الجزائرية للجزائر وعن الجزائر والمترجم قام بترجمتها للجزائر في المقام الأول، وقارئ الرواية العربية ثانيا، وكان النص المترجم أو الروايات المترجمة بمعنى أصبح سيختلف لو أن المترجم كان من أصل غير جزائري حوله على اللغة العربية، فالمصطلحات واللغة ونفس السارد الجزائري والهوية طفت على الرواية مما جعلها تدخل الخصوصية الانتمائية حتى أن تلك الترجمات جاءت بمصطلحات مترجمة بلهجة عامية جزائرية، هذه اللهجة التي تبدو غريبة بعض الشيء عن الثقافات العربية الأخرى، وهي كلمات فرنسية كتبت بحروف عربية.

فشكل استخدام هذا الزخم من مصطلحات فرنسية الأصل والتي كتبت بحروف عربية يطرح العديد من التساؤلات على المترجم وثقافة المجتمع الهجينة هذه وحول سبب إدراجها لهذه الصيغ، فالترجمة هي صياغة وتأويل والتأويل اشتغال ذهني وبحث عن فائض المعاني المتداخلة بين النص الأصلي والنص المترجم، فالنص السردي بعد عملية الترجمة يصبح نصا آخر مستقلا عن النص الأصلي، ولعل استعمال المترجم لهذه المصطلحات العامية من باب إضفاء اللمسة الجزائرية والثقافية

[1] إبراهيم سعيدي: تسعينات الجزائر كنص سردي، الملتقى الدولي السابع للرواية، عبد الحميد بن هدوقة، دراسات الملتقى السادس، دار هومة للنشر، الجزائر، ص25.

اللتان ينتمي إليها النص قبل وبعد إخضاعه لعملية الترجمة وليس من باب العجز في الترجمة إلى العربية، ونلاحظ أن "أمين الزاوي[1]" خير دليل على هذه الظاهرة فنجده متمسكا جدا بقومتيه وانتمائه الجزائري لحرصه على ترك بصمة اللهجة العامية في ترجماته مثل ترجمته لرواية "بماذا تحلم الذئاب" لـ "ياسمينة خضرا"[2].

ونجد أن مترجمي الرواية الجزائرية ذات اللسان الفرنسي قد التزموا في ترجمتهم بنقل أفكارهم المطروحة في العمل الإبداعي، خاصة عندما يتعلق الأمر بأفكار ومفاهيم ومصطلحات ضرورية لفهم ما يميز الثقافة الغربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص، فترجمة هذا النوع من الروايات يستدعي التنسيق بين المترجم للعمل الأدبي، وعرضه على الروائي صاحب العمل الأصلي قبل نشره في دور النشر وقبل وصوله للقارئ[3].

بلغت هذه الترجمات دورا مهما في معرفة الآخر، والتلاقح بين مختلف الثقافات، وحافظت بطريقة أو بأخرى على سرد الأحداث التاريخية، كما يظهر من خلال تلك الروايات المترجمة إلى اللغة العربية التكوين أو الانتماء الثقافي لهؤلاء المترجمين وغالبا ما يكون للثقافة الفرنسية أو الدارسين للغة الفرنسية وكثيرا ما يجهلون عن العربية مما يترتب عنه أخطاء شكلية كثيرة.

وخلاصة القول في هذا المجال أن الأديب الجزائري الذي يكتب باللغة الفرنسية يفكر بلغته الأم (اللغة العربية) ويكتب بلغة ثانية لها منطق آخر وانتماء آخر، أي اللغة التي يمكنه الإبداع من خلالها، بمعنى أن الحقل اللغوي والثقافي الذي خط به هؤلاء المؤلفون رواياتهم هو حقل شفوي رمزي لعقلية وتفكير الإنسان الجزائري الشعبي، ومن هنا كانت الترجمة لمختلف كتابات الجزائريين الذين تناولوا قضايا مجتمعهم تحليلا ونقدا، وهو التوضيح والشرح للحس الأدبي ومحاولة إشراك المتلقي في هذا الهم، والتطلع إلى معرفة هموم هذه النخبة من الأدباء الذين كتبوا بغير لغتهم، ومحاولة تفهم ذلك

[1] أمين الزاوي كاتب ومفكر وروائي جزائري.
[2] إبراهيم سعيدي: مرجع سابق، ص25.
[3] ينظر: فاطمة الزهراء حبيب: مرجع سابق، ص30.

الأمل الذي جعلهم يهرعون للآخر في عرضهم إنتاجهم السردي وثقافتهم وإثبات وجودهم في ديار الغربة والمنفى الفكري هدفه التواصل بين ضفتي المتوسط وإفريقيا[1].

وبهذا كله فالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية لا تخرج عن نطاق التعبير عن حال المجتمع الجزائري، فهي تمثل صوت الشعب الجزائري وواقعه المأساوي والمرير، بالإضافة إلى آمال وتطلعات الجزائريين للتخلص من هذه الأزمات، فهي سلاح للدفاع عن الهوية الوطنية ورسم مختلف اللوحات من معاناة وظلم وقهر وفساد في جميع المجالات سواء سياسيا أو اجتماعيا أو ثقافيا نظرا للواقع المعاش[2].

تطرقنا في هذا الفصل إلى مفهوم الرواية بصفة عامة لغة واصطلاحا، ثم تحدثنا عن أسباب نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية حيث أشرنا أولا إلى الرواية في فترة الاستعمار، ثم ثانيا إلى الرواية في فترة ما بعد الاستقلال، وثالثا الرواية في فترة العشرية السوداء، ثم ذكرنا خصائص ومميزات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وأخيرا توقفنا قليلا عند الترجمة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، هذه الترجمة التي سمحت لها أن توسع دائرة القراء والمطالعين لهذا الأدب جزائري الهوية بالرغم من اختلاف لسانه، وأن تنقل عن الشعب الجزائري معاناته، نضاله، عزيمته، إصراره وحتى انتصاره، وللتعبير عن كل هذا كان لابد لكل كاتب جزائري – نخص بالذكر في بحثنا هذا الكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية– كان لابد له أن يُدرج شتى المظاهر المعيشية التي يتميز بها الشعب الجزائري عن باقي الشعوب من لغة، ملبس ومشرب، عادات وتقاليد وغيرها التي تشير في مجملها إلى مفهوم الثقافة الذي سوف نتطرق إليه– إضافة إلى بعض العناصر الأخرى المتعلقة بها– في الفصل الموالي من بحثنا هذا.

[1] ينظر: فاطمة الزهراء حبيب: المرجع نفسه، ص30.
[2] ينظر: المرجع السابق: ص31.

الفصل الثاني
الأبعاد الثقافية واستراتيجيات نقلها عند " ماريان ليديرير"

يمكننا تعريف الثقافة على أنها نظام يتكون من مجموعة من المعتقدات والإجراءات والمعارف والسلوكات التي يتم تكوينها ومشاركتها ضمن فئة معينة، وتدل على مجموعة من السمات التي تميز أي مجتمع عن غيره كالفنون، الموسيقى التي يشتهر بها والدين والأعراف والعادات والتقاليد السائدة القيم وغيرها. كما يتميز مفهوم الثقافة بشموله لأنواع العلم فهو يستخدم في مختلف العلوم كعلم اللسانيات وعلم النفس والعلوم الإنسانية والفلسفة والاقتصاد وغيرها.

وفيما يلي أكثر التعريفات المستند عليها في تحديد مفهوم الثقافة: يرى "تايلور[1]" أن "الثقافة نظام متكامل يشتمل على كل من المعرفة والفن والقانون والعادات والتقاليد والأخلاق وغيرها من الأمور التي يكتسبها الإنسان بوصفه أحد أفراد المجتمع"[2]. أما "سابير[3]" فوضع مفهوما شاملا للثقافة، لذا قام بوضع أربعة تعريفات تكمل بعضها البعض، وهي كما يأتي:

- أي صفة يتصف بها الإنسان يكون مصيرها الإرث الاجتماعي.
- مجموعة من الأفكار والمعلومات والخبرات والمعارف التي تنتشر في مجتمع ما بسبب التأييد الاجتماعي لها، ويكون أساسها التراث.
- مجموعة من الأفكار التي تدور حول الحياة والاتجاهات العامة.
- مظاهر الحضارة التي يتميز بها شعب ما وتكسب مكانة خاصة في العالم[4].

وفيما يلي سنتطرق إلى تعريف البعد الثقافي ثم سنذكر أهم الأبعاد الثقافية التي سنسلط عليها الضوء في مذكرتنا، ومنها إلى صعوبات ترجمة البعد الثقافي التي قمنا بتصنيفها حسب معايير معينة، ثم سيتعين علينا الخوض في مفهوم النقل الثقافي ومنه اخترنا "ماريان ليديرير" التي سنقوم بإعطاء فكرة بسيطة عن سيرتها المهنية كمترجمة وبعدها نتوقف قليلا عند النظرية التأويلية التي طالما ربطت

[1] إدوارد تايلور عالم أنتروبولوجيا انجليزي ومؤسس لعلم الأنتروبولوجيا الثقافية.
[2] جعلالي جوهرة: نقل البعد الثقافي في ترجمة النصوص الأدبية، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،2015-2016، ص10.
[3] إدوارد سابير عالم اللسانيات و الانتروبولوجيا أمريكي الأصل.
[4] جعلالي جوهرة: مرجع سابق، ص10.

اسم "ماريان ليديرير Marianne LEDERER" باسم أستاذتها "دانيكا سيلسكوفيتش Danica SELESKOVITCH"، ثم نتطرق إلى استراتيجيات النقل الثقافي عند "ماريان ليديرير".

1. تعريف البعد الثقافي

إن الثقافة كما عرفها "نيومارك" تمثل هوية الشعب ووجدانه فهي تؤثر على جميع ميادين الحياة وجوانبها نتلمسها في الحياة اليومية من حيث الجانب المادي من أكل وشرب ووسائل نقل على سبيل المثال ومن الجانب المعنوي والروحي من لغة ودين وفنون.

وتنعكس ثقافة الشخص أيضا في تفكيره وعاداته وتصرفاته لتؤثر على كل جوانب حياته سواء الشخصية أو العملية أو الروحية.

كما أنها تؤثر لامحالة في الجانب الفني فنلمس وجودها في الرسم والموسيقى الأدب وسائر الفنون، ويظهر أثر الثقافة من خلال العمل الفني من مؤلفات موسيقية وأدبية أو لوحات فنية الذي يعكس تشبع صاحبه بمرجعيات ثقافية تضفي على العمل خصوصيته وهذا ما يسنى بالبعد الثقافي في العمل الفني.

ولأن الأدب مرآة الثقافة والحضارة فقد ارتأينا في دراستنا أن نبحث ونسلط الضوء على البعد الثقافي في مدونتنا« Les vigiles » التي نحن بصدد العمل عليها.

2. أنواع الأبعاد الثقافية

تمثل الثقافة نموذجا إدراكيا يبين كيف يرى الإنسان العالم أي هي رؤيته وتقويمه لعالمه التي غرست في عقله كنموذج لتصبح فيما بعد سمته الثقافية[1].

والثقافة من صنع الإنسان حيث بلورها من وحي حاجاته الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي فهو يؤثر فيها ويتأثر بها فتنعكس في جميع نشاطاته ونمط إدراكه وأسلوب تفكيره[2].

[1] سمير الشيخ: الثقافة والترجمة، دار الفرابي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص9.
[2] علي القاسمي: أثر الترجمة في التفاعل الثقافي، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات، 22-12-2022، على الموقع: www.atida.org

و الثقافة كالجسم الواحد المتكون من أعضاء منسجمة ومتناسقة فيما بينها حيث تمثل هذه الأعضاء مكوناتها وأبعادها المختلفة، وفي هذا الإطار تتعدد الأبعاد الثقافية وتتنوع من بعد لغوي وديني وتاريخي وسياسي واقتصادي وغيرها من الأبعاد التي نشأت مع تطور الإنسان ونمو المجتمعات فالثقافة عملية متجددة وغير منتهية وعليه فقد يطول الحديث عن هذا الموضوع دون القدرة على الإلمام بكل جوانبه، لذا فقد ارتأينا دراسة ثلاثة أبعاد من الأبعاد الثقافية المتواجدة والتي تعد الأبرز في الرواية التي اخترناها ألا وهي البعد اللغوي، البعد الديني و البعد التاريخي، حيث تجسدت من خلالها الجوانب الثقافية التي طرحت إشكالية في الترجمة.

1.2. البعد اللغوي

إن اللغة بتعريفها البسيط هي وسيلة اتصال بين شخصين او أكثر، الهدف منها التواصل والتفاهم الذي يحدث بواسطة المعرفة المشتركة لرموز هذه الوسيلة وما تحويه من معان سياقية واجتماعية وثقافية متفق عليها مسبقا، فاللغة هي نتاج إنساني وثقافي أنتجته ضرورة تواصل أهل بيئة واحدة بين بعضهم البعض[1].

وتعد اللغة مضمون الهوية الثقافية ومخزونها الفكري والعاطفي، فهي سبيل مهم لتكوين الإدراك الحسي والعقلي أو لتغييره وعلاقتها بالثقافة علاقة متينة جدا كلاهما تساهم في كينونة الأخرى، وتغذيتها، وتؤثر فيها وبالتالي كلاهما لا يكون لها وجود إلا بوجود الأخرى.

واللغة لا تقتصر وظيفتها على التفاهم بين الأفراد، وإنما تتجاوز ذلك إلى الأداة التي يتعلم ويفكر بها الإنسان، فهي تقود عقله وتوجهه، وبها يستدل على السلوك القويم مع الآخرين، وهي – فضلا عن ذلك–تحفظ التراث الثقافي للمجتمعات، فهي منظمة العلاقات الاجتماعية، وهي وسيلة

[1] فايز حداد: جدلية علاقة اللغة بالفكر والثقافة، صحيفة تشرين، العدد 432.

للتعامل والتعاون بين افراد المجتمع وأهم أدوات الحفاظ على كيانه، ويتبع ذلك أنها العامل الأول في انتشار الثقافة وتداولها في المجتمعات المتحضرة، وأنها من أهم مقومات الحضارة الإنسانية[1].

إختلف العلماء في تعريف اللغة ومفهومها، وليس هناك اتفاق شامل على مفهوم اللغة ويرجع السبب في ذلك إلى ارتباطها بكثير من العلوم. وتتميز كل لغة عن غيرها من اللغات بصفات جوهرية تباعد ما بينها وبين غيرها. فاللغة عبارة عن نظام صوتي يمتلك سياقا اجتماعيا وثقافيا له دلالاته ورموزهن وهو قابل للنمو والتطور، ويخضع في ذلك للظروف التاريخية والحضارية التي يمر بها المجتمع[2].

بالرغم من الاختلافات الكثيرة في تحديد مفهوم اللغة إلا أن الكل يجمع على أنها هي لسان وثقافة وعنوان الحضارة فاللغة هي القناة التي تتنقل من خلالها العلوم من الأمة وإليها وهي وعاء الفكر وميدان الإبداع وهي كما يراها أهل الاختصاص وسيلة يبتكرها الإنسان لكي يتكيف مع بيئته من خلال تطوير أساليب الاتصال فهي بنت البيئة ونبتتها، ولهذا فإن كلمات اللغة ومفرداتها ماهي إلا تراكيب بيئية محضة ذات أبعاد متعددة يتوازى عمق المفهوم بها مع عمق المفردة أو الكلمة في البيئة وتتسق هذه التراكيب اللغوية فيما بينها لتؤلف بناء وإطارا ثقافيا يؤثر في النظرة العامة للبيئة والفرد والمجتمع.

وتعتبر اللغة الوسيلة الرئيسية التي ندير بها حياتنا الاجتماعية، فعندما نستخدم اللغة في سياق التواصل، تتعقد الصلة بينها وبين الثقافة في نواح كثيرة ومتشابكة، فالكلمات التي ينطق بها الناس تشير إلى الخبرات المشتركة لأنها تشير إلى مخزون من المعرفة بهذا العالم يشترك فيه آخرون، كما تعكس المواقف والمعتقدات ووجهات النظر فاللغة في أية حال تعبر عن واقع ثقافي كما أنها نسق من العلامات ذات قيمة ثقافية لأن المتحدثين يعبرون عن هويتهم من خلال استخدامهم لها.

[1] ينظر: حسام الدين، كريم زكي: اللغة والثقافة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص11.
[2] ينظر: فايز حداد: مرجع سابق، العدد 432.

وعند إنشاء المعنى، نجد أن كل إنسان يستلهم تفسيره الخاص للحوادث من خبرته ومجال إدراكه، ويشترك في سياق الموقف وسياق الثقافة في إنتاج هذه الأفعال، فحين يتحدث المتحدثون ينطلقون في حديثهم من إطار للتوقعات التي يتقاسمونها مع آخرين يعيشون تاريخ الحياة والسياق الثقافي نفسه[1].

ومن هنا، فإن العلاقة بين الثقافة واللغة من أكثر القضايا جدلا في الدراسات الأدبية كونها تخضع لمعايير التبدل والتغير وإن العلاقة بين الهوية اللغوية من جهة والهوية الثقافية من جهة أخرى إنما تنطلق هي نفسها من تراث تتغلغل جذوره في ثقافة المجتمع ويأخذ في الاتساع بين مختلف الثقافات القومية[2].

وإن للغة أهمية بالغة في حياة الفرد فلها أهمية اجتماعية يتم من خلالها التوصل مع الآخرين في المجتمع، وأهمية عقلية فاللغة هي أداة التفكير والثقافة للفرد كما لها أهمية نفسية يعبر بها الإنسان عن رغباته وانفعالاته، مثال ذلك الشعراء والأدباء الذين يتغنون باللغة دون أن ننسى الأهمية الجمالية التي تفيد الإنسان في تذوق الأعمال الأدبية المختلفة من شعر ونثر.

وحين يتعلق الأمر بتعلم اللغات الأجنبية، تبرز أهمية تعليم الثقافة في برامج تعليم اللغات الأجنبية للدراسين، وتتضمن الثقافة هنا بالمعنى الواسع عنصرين رئيسين هما:

- الثقافة الأنثروبولوجية أو الاجتماعية، حيث تشمل العادات والاتجاهات والتقاليد.
- تاريخ الحضارة، والذي يشمل الفنون والإنجازات العلمية والعلوم الاجتماعية[3].

ويعد العنصر الثاني أساس العنصر الأول حيث يعرض تراث المجتمع؛ ولذا يجب أن يعرفه الدارسون لكي يستوعبوا الثقافة المستهدفة، ثقافة اللغة المراد تعلمها، أن العنصر الرئيسي لا بد أن يأتي في الترتيب أولا؛ نظرا لأهميته ودوره في إثراء الثقافة، ومن ثم في تعريف الدارسين بها،

[1] ينظر: أسماء بن سخرية: التجليات الثقافية في الترجمة الأدبية، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة،2014-2015، ص18.
[2] ينظر:سمير الشيخ: مرجع سابق، ص10.
[3] ينظر:حسام الدين، كريم زكي: مرجع سابق، ص11.

وبالإضافة إلى ذلك فإن التكامل بين اللغة والثقافة يؤدي إلى تنمية المهارات اللغوية والمهارات الثقافية لدى الدارسين، كما يجعلهم متجاوبين بصورة أفضل مع الناطقين الأصليين للغة الثانية، وبناء على ذلك فإن الدارسين تكون لديهم القدرة على فهم أفكار وسلوكيات الشعوب التي يتعلمون لغتها، كما يتمكنون من فهم المعاني التي يستخدمونها، ويمكن أن ندرك أهمية هذا التكامل عندما نلاحظ أن الدارسين للغات الأخرى لا يتسع أفقهم للثقافة المستهدفة فقط، ولكنه يتسع أيضا لثقافاتهم الأصلية بحيث ينظرون إليها نظرة أشمل وأوسع عما كانوا عليه قبل دراساتهم للغة المستهدفة، وبالتالي يصبحون أكثر احتراما للثقافات الأخرى، وأكثر تقديرا لمشاعر الآخرين؛ لأنهم يستطلعون أن يفهموا أنماطهم الثقافية، ويدركوا دلالاتها الثقافية[1].

وللثقافة أثر كبير في نفوس الدارسين؛ إذ تؤدي إلى التمتع باللغة التي يتعلمونها؛ لأنها تجعل عملية التدريس ممتعة ومشوقة، حيث يتعرف الدارسون على أنماط ثقافية جديدة تختلف عما في ثقافتها الأصلية، وهذا يؤدي إلى زيادة اهتمامات الدارسين وتحفيزهم لكي يتعرفوا على الأنماط الثقافية الجديدة للغة المستهدفة.

ولقد أكدت الدراسات السابقة أن تدريس اللغة بدون ثقافتها، أو تدريسها من خلال لغة وسيطة، لا يفيد الدارسين كثيرا، بل تصبح عملية تدريس اللغة_ إلى حد ما_ مضيعة للوقت والجهد، سواء بالنسبة للمعلم أو المتعلم، بالإضافة إلى أن اللغة تصبح غير نافعة، وعسيرة الفهم على الدارسين، كما أنها بهذا الشكل لا تساعد الدارسين على الاتصال الفعال بأهل اللغة التي يودون تعلمها، وينبغي أن تعلم اللغة بذاتها، وليس من خلال لغة وسيطة؛ حيث إن لكل لغة ذاتيتها الثقافية فإذا ترجمت بعض كلماتها إلى لغة أخرى فقدت معناها الثقافي الخاص بها.

[1] ينظر: فايز حداد: مرجع سابق، العدد432.

2.2. البعد الديني

تشكل الأديان عقائد راسخة جدا ومؤثرة في حياة المجتمعات وغالبا ما تشكل القاعدة المعرفية لها. فالدين يقدم رؤية شمولية تجيب على الأسئلة المتعلقة بالكون والإنسان والحياة وهو نظام معرفي متميز يؤثر في مجالات متعددة فهو يؤثر في المجالات المعرفية المتخصصة كالعلوم مثلا والمعتقدات الأخرى عامة.

الدين، مصطلح يطلق على مجموعة من الأفكار والعقائد التي توضح بسبب معتنقيها الغاية من الحياة كما يعرف عادة بأنه الاعتقاد المرتبط بما وراء الطبيعة، كما يرتبط بالأخلاق، الممارسات والمؤسسات المرتبطة بذلك الاعتقاد. وبالمفهوم الواسع، عرفه البعض على أنه المجموع العام للإجابات التي تفسر علاقة البشر بالكون[1]. وفي مسيرة تطور الأديان، أخذت عددا كبيرة من الأشكال في الثقافات المختلفة وبين الأفراد المختلفين. أما في عالم اليوم، فإن عددا من ديانات العالم الرئيسة فإن عددا من ديانات العالم الرئيسية هي المنتشرة والغالبة. كلمة دين تستعمل أحيانا بشكل متبادل مع كلمة إيمان أو نظام اعتقاد، ولكن الدين يختلف عن الاعتقاد الشخصي من ناحية أنه يتميز بالعمومية وإن معظم الأديان تنظم السلوكيات، وقد يتجلى هذا في عقد اجتماعات منتظمة أو خدمات لأغراض تبجيل الإله أو الصلاة كما أن ممارسة الدين يمكن أن تشمل أيضا، أنشطة الاحتفال بإله أو آلهة، التضحيات والمهرجانات والأعياد، الخدمات الجنائزية وخدمات الزواج، والتأمل والموسيقى والفن، الرقص، والخدمات العامة، أو الجوانب الأخرى من الثقافة الإنسانية[2].

لقد تم تطوير الدين عبر أشكال مختلفة في شتى الثقافات. بعض الديانات تركز على الاعتقاد، في حين يؤكد آخرون على الجانب الواقعي. وبعض الديانات ركزت على الخبرة الدينية الذاتية للفرد، في حين يرى البعض الآخر أن أنشطة المجتمع الدينية تعتبر ذات أهمية أكثر. وبعض الديانات تدعي

[1] جمال محمد جابر: الترجمة بين الثقافات، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2007، ص19.
[2] إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1960، المجلد2، ص98.

أنها ديانات عالمية، معتبرة قوانينها وعلم الكونيات الذي هو طابعها أنه ملزمة على كل البشر. ويتضح ارتباط الدين مع المؤسسات العامة مثل المستشفيات والتعليم، والأسرة، والحكومة، والسياسة[1].

والدين في مصطلح اللغة العربية هي العادة والشأن. والتدين هو الخضوع والاستبعاد، ينبني على الدين المكافأة والجزاء، أي يجازى الإنسان بفعله وبحسب ما عمل عن طريق الحساب[2].

ومنه صفة الديان التي يطلقها الناس على خالقهم؛ وجمع كلمة دين: أديان. فيقال: دان بديانة وتدين بها، فهو متدين، والتدين يكون إذا وكل الإنسان أموره إلى دينه[3].

الدين يتمثل بالطاعة والانقياد، فرجال الدين: هم المطيعون المنقادون، كما يحمل الدين الإنسان ما يكره، ومن هذا الباب تأتي كلمة الدين(القرض): إما بالأخذ أو العطاء، كما أجله الجزاء والحساب والعبادة والطاعة والمواظبة والقهر والغلبة والاستعلاء والسلطان والملك والحكم والتسيير والتدبير والتوحيد، وجميع ما يتعبد به للإله، من مذاهب وورع وإجبار، فالإله هو الديان: أي القهار، والقاضي، والحاكم، والسائس، والحاسب، والمجازي الذي لا يضيع عملا، بل يجزي بالخير والشر. ففي الديانة: عزة ومذلة، وطاعة وعصيان، وعادة في الخير أو الشر، والابتلاء.

تم تعريف الدين بعدة طرق ومعظم التفسيرات تحاول تحقيق التوازن بين الدقة القصوى والالتباسات العامة. وقد حاولت بعض المصادر أن تستخدم تعاريف رسمية أو عقائدية في حين يؤكد آخرون على العوامل التجريبية والعاطفية والبديهية والأخلاقية والمعنوية. معظم التعاريف، مع ذلك، تتضمن الآتي:

مفهوم التنزيه أو الألوهية في شكل من أشكال الإيمان بالله، ويستعمل هذا التفسير غالبا ولكن ليس دائما.

[1] جمال محمد جابر: مرجع سابق، ص20.
[2] مروان عطية: كتاب معجم المعاني الجامع الالكتروني، 13-1-2023.
[3] إبراهيم أنيس وآخرون: المرجع نفسه، ص99.

أحد الجوانب الثقافية والسلوكية والعبادة المنظمة وغالبا ما تتضمن نظاما من المعايير الأخلاقية.

مجموعة من الأساطير أو الحقائق المقدسة لدى المؤينين والتعاريف السابقة تتطلب أن نحدد المفاهيم الأخرى مثل "مقدس" وغالبا ما يعرف الشيء "المقدس" على أنه شيء متعلق بطريقة أو بأخرى بالله والدين وأسراره وما يثير سلوكا معقدا للتقديس والانجذاب والإعجاب وغالبا الرهبة.

ولتفادي تعميم التعريف، كلمة "دين" هي كلمة مشمولة في تعريف "مقدس" والتعريفات الأخرى لما هو مقدس تفضل تقديمة على أنه "مظهر من مظاهر القوة الغامضة والإعجاب الملهم والاهتمام الكامل". وبشكل عام، يجب لتعريفات الدين أن تكون شاملة بحيث تشمل جميع الممارسات أو الفلسفات التي تعتبر حاليا أديانا. فعلى سبيل المثال، التعريفات التي تتضمن كشرط الاعتقاد في الله أو إله ليكون مسئولا عن خلق الكون وصنعة، تستبعد تلقائيا الأديان غير التوحيدية مثل البوذية. وعلاوة على ذلك، هو تعريف واسع للغاية يتضمن أي تصور للعالم والممارسات البشرية فيما يتعلق بذلك وتشمل تخصصات مثل عالم الكونيات، وحتى علم البيئة[1].

ينظر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى الدين على أنه مجموعة من الأفكار المجردة، والقيم والتجارب القادمة من رحم الثقافة. على سبيل المثال، وبطبيعة المبدأ، جوهر الدين لا يشير إلى الاعتقاد في "الله" أو قوة عالية مطلقة ولكن جوهره يعرف بأنه "بنية أو ثقافة مباشرة و\ أو بنية لغوية للحياة بشكل كامل، والاعتقاد مثل اللغة، يسمح بوصف الواقع، وصياغة واختبار المعتقدات والمشاعر والأحاسيس الحميمية"، وبموجب هذا التعريف، الدين هو رؤية لا غنى عنها في العالم تحكم الأفكار الشخصية والأعمال[2].

[1] ينظر: جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1979، ص81.
[2] ينظر: جبور عبد النور: مرجع سابق، ص81.

3.2. البعد التاريخي

يعرف معجم المعاني الجامع التاريخ على أنه جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية.

وهو في اللغة تعريف الوقت، فتاريخ الشيء ووقته وغايته، والتاريخ أيضا يبحث في الوقائع والحوادث الماضية، وحقيقته كما قال "ابن خلدون[1]": "أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس، والعصبيات، وأنصاف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.[2]"

ولقد مرت كلمة التاريخ بتطورات عديدة في الثقافة العربية، فقد بدأت بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام، واحتفظت بهذا المعنى لفترة، ثم صارت بمعنى آخر وهو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، لتتخذ كلمة "التاريخ" تدريجيا معناها الحالي وصارت تطلق على عملية التدوين التاريخي، وعلى حفظ الأخبار، بشكل متسلسل، متصل الزمن والموضوع، للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعملية الإخبارية، منذ منتصف القرن الثاني الهجري. وأصبحت كلمة "تاريخ"، تحمل عدة معاني في اللغة العربية وهي:

- سير الزمن والأحداث، أي التطور التاريخي، كالتاريخ الإسلامي، وتاريخ اليونان والتاريخ السومري بالعراق.
- تاريخ الرجال أو السير الشخصية.

[1] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي عالم من علماء العرب والإسلام.
[2] جعلالي جوهرة: مرجع سابق، ص13.

- عملية التدوين التاريخي، مع وصف الأحداث وتحليلها وتحديد زمن الواقعة أو الحادثة باليوم والشهر والسنة[1].

ويعتبر التاريخ أحد أهم المؤثرات في ثقافات المجتمعات في العالم، فميراثه كان ولايزال مؤثرا بكل إيجابياته وسلبياته في حياتها، فالتاريخ بعناصره المتعددة والمختلفة وأحيانا المتنازعة والمتناقضة هو الذي أضفى على الحياة حركتها، وعلى هذا الأساس نشأت الحضارات والدول والمجتمعات التي تركت آثرها في أوقات مهمة من الزمن نشأت فيها أفكار ونظريات اخترعت فيها الآلات وكان لذلك أثر كبير في نماء أو تخلف الدول والشعوب والأنظمة.

وإن للتاريخ تأثيره في طبيعة المجتمع البشري كونه يغذي الإنسان بفيوض الماضي، وإننا إذ نهتم بالتاريخ كمؤثر فإننا نسعى إلى أن يتحرك هذا التاريخ بالاتجاه الذي يخدم فيه المجتمع ويطور الإنسان ويحسن آلياته، لذلك ينبغي النظر إلى التاريخ من خلال تطور المراحل التاريخية التي بدأت ببداية حياة الإنسان على الأرض وحقيقة بداية الخلقية وعبادة الإله الواحد، أو عن العقائد التي تتحدث عن نظرية تعدد الآلهة، ومن ناحية ثانية لابد لنا من النظر إلى طبيعة تطور العلوم والاختراعات ومنها اختراع الآلة من جهة، والمعارف والاكتشافات المتعلقة ببداية عصر الكتابة ووضع القوانين من جهة أخرى وما ترتب على ذلك من تطور فتح الباب على مختلف مناهج العلوم والآداب والفنون والهندسة والعمران التي هيأت عناصر التطور الثقافي العام للمجتمع في مختلف بقاع العالم.

3. صعوبات ترجمة البعد الثقافي

تعتبر ترجمة البعد الثقافي من أهم الصعوبات التي تواجه المترجمين، فكل لغة لها ثقافة تحمل خصائصا وميزات خاصة تتباين بوضوح عن الثقافات الأخرى، ولهذا يلعب المترجم دورا مهما في ترجمة هذه المفاهيم الثقافية. لترجمة المصطلح الثقافي يجب أن يكون المترجم واعيا وعلى دراية بكل

[1] ينظر: جعلالي جوهرة: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تفاصيل النص، بالإضافة إلى إبداعه وقدرته على معرفة الاختلاف اللغوي والثقافي وإيجاد مكافئ له في اللغة والثقافة الهدف. فالمترجم يواجه الكثير من الصعوبات عند ترجمته أي نص من لغة إلى لغة أخرى، ويمكن تصنيف هذه الصعوبات إلى:

1.3. صعوبات على مستوى العادات والتقاليد

تعتبر هذه الصعوبات من أهم ما يواجه المترجمين أثناء تعاملهم مع مضمون النص، فلكل شعب وبلد عادات وتقاليد خاصة به تتناقلها الأجيال بكل حب واحترام تخليدا لذكرى أسلافهم ويكون مجموع العادات والتقاليد والمبادئ وأنماط العيش "الثقافة الاجتماعية" لأنها ببساطة جزء لا يتجزأ من حياة الشعب. وفي هذا الصدد يقول "جون سيفري":

« La culture est un corpus d'habitudes, façon de se vêtir, de se tenir à table,d'échanger des cadeaux … et des politesses sociales، des salutations[1] .»

"الثقافة مجموعة من العادات، هي طريقة اللباس وكيفية الجلوس إلى الطاولة، وتبادل الهدايا... والمجاملات الاجتماعية والتحايا." (ترجمتنا)

ونظرا لاختلاف العادات والتقاليد، وعلى سبيل المثال للثقافة العربية الجزائرية على سبيل التخصيص ألبسة تتميز بها عن باقي الثقافات في العالم كـ "الحايك" وهو لباس تراثي وزي تقليدي جزائري من القماش أبيض اللون تلتحف به المرأة لتستر سائر جسدها، و"العجار" و"القشابية" و"الجلابة" و"السروال العربي" إضافة إلى ألبسة الأفراح لاسيما النسائية منها "البلوزة" "الفرقاني" و"القسنطينية". فهذا يعتبر أمرا غريبا لدى الفرد الفرنسي مثلا لأن هذه الكلمات لا توجد في ثقافته وعادات وتقاليد بلاده. وذات الأمر ينطبق على كلمة "يوكاطا Yukata " اليابانية وهو لباس يرتديه اليابانيون رجالا ونساء في الشارع أو داخل المنزل أيضا وهذا الأمر مختلف مع عادات وتقاليد

[1] SEVERY,Jean. "une fidélité impossible: traduire une œuvre africaine Anglophone ", palimpsestes n° 11, Paris, presse de la Sorbonne nouvelle, 1998, p.135.

المجتمع الأوربي في اللباس اذ لكل مناسبة ووقت في اليوم لباسه الخاص به[1]. وعندما نجد شخصا يضع على رأسه عمامة فهولا محالة ينتمي إلى ثقافة عربية إسلامية، وأيضا "الفورو" أو "أفيرو" الياباني وهو مغطس تقليدي ياباني جماعي يحوي ماء ساخنا يعتبر أمرا محيرا لدي الفرد الفرنسي مثلا الذي لا توجد في ثقافته الحمامات الجماعية[2]. ويوجد اختلاف في الأكل بين بلد وآخر لأن الطعام يعتبر بالنسبة للكثيرين أكثر تعابير الثقافة أهمية وحساسية. تتعدد مصطلحات الأطعمة وتتنوع وتختلف من بلد إلى بلد آخر، ويعتمد مدى انتشارها على الاهتمامات التجارية والتفاخرية[3]. فمثلا كلمة « chiken night » وهي أكلة غير معروفة في البيئة العربية. ثم كيف نترجم إلى اللغة الفرنسية لفظة « brot » الألمانية مع العلم أن لفظة « pain » الفرنسية لن تفي بالغرض تماما، لأن الخبز الفرنسي غير الخبز الألماني[4]. وأيضا كلمات مثل الكلمتين الإيطاليتين « pizza » و « spaghetti »لم تعد تعتبر كلمات ثقافية إيطالية فحسب بل صارت عالمية. نأخذ مثالا أيضا عن الكاتب الأوربي الذي لن يجد صعوبة وحرجا في التحدث عن الخمر وعادات الشرب أو القمار، بيد أن المترجم العربي سيجد إشكالا في نقل النص الأوروبي بسبب عادات وتقاليد بلده وثقافته المختلفة عن الثقافة الأوربية، والأكيد أنه سيلجأ إلى استعمال تقنية الحذف أو مجرد التلميح غير الصريح احتراما منه للمتلقي والآداب العامة.

أما الحكم والأمثال الشعبية والتعابير الاصطلاحية، فتطرح العراقيل ذاتها والعقبات عند ترجمتها لاقترانها بالثقافة الشعبية.

فالخصوصيات الثقافية على مستوى معيار العادات والتقاليد تتميز وتختلف حتى في أبسط العادات اليومية لأن لكل بلد وشعب طريقته التي يتميز بها عن غيره من حيث لباسه وأكله.

[1] ينظر: حسام الدين ، كريم زكي: مرجع سابق، ص17.
[2] ينظر: حسام الدين، كريم زكي: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] صديق أحمد علي: استراتيجيات الترجمة الثقافية: مجلة علمية، الأكاديمية الأمريكية العربية، 2013، ص90.
[4] ينظر: حسام الدين، كريم زكي: مرجع سابق، ص18.

2.3. صعوبات على مستوى المعيار الديني

إن الصعوبات الثقافية الدينية أشد تعقيدا لأن أغلبها ينبع من المعنى الانفعالي[1].

ولكل دولة من الدول وثقافة من الثقافات المعتقد الديني المتناسب معه، بالإضافة إلى أن هذا المعتقد الديني يجب أن يتناسب مع طبيعة تفكيرهم وطبيعة مدى الإدراك لديهم، لذلك تعتبر النصوص الدينية من أكثر النصوص صعوبة بسبب المفاهيم والفروق المتمايزة بين الديانات السماوية، إضافة إلى ذلك المعتقدات المختلفة التي تنتشر بين البشر، لذلك تكمن الصعوبة الأولى في اختيار المترجم الطريقة المناسبة التي تقوم بمعادلة فهم الثقافة والأفكار في النص بين الثقافتين والتوفيق بينهما[2].

في بعض الأحيان يواجه المترجم الديني بعض المصطلحات الدينية الغامضة أو الدقيقة المعنى، فهو يجد صعوبة في إيجاد مرادفات لها في لغته وثقافته أو إيجاد تفاسير مناسبة فتبقى مبهمة، ويضطر في بعض الأحيان أن يبذل الكثير من الجهد في سبيل تفسيرها.

فمثلا إذا تحدث الكاتب العربي المسلم في رواية عن حفل زواج يجمع بين الفتاة وابن عمها، فإن القارئ الفرنسي المسيحي من المستحيل أن يتقبل في ذهنه وفكره مثل هذا الزواج نظرا لحرمته في الديانة المسيحية، بيد أنه يحلل الزواج من الأخت من الرضاعة وهذا مالا يتناسب ويحرمه الدين الإسلامي.[3] لذلك كان من واجب المترجم حسن صياغة النص بطريقة تحتاجها وتتناسب مع الثقافة المتلقية، حفاظا على أحاسيس ومشاعر المتلقي واحتراما لديانته. ثم كيف لأي من اللغات الأوربية ترجمة مفردات نابعة من صميم الديانة والثقافة الإسلامية مثل: زكاة وحج وجهاد وفريضة وزكاة... فالأكيد أنه لا وجود لمرادفات لهذه الألفاظ تفي بالمعنى كاملا في لغة أو ثقافة أخرى. وأيضا إن الكتاب المنزل هو القرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل وأما الكتاب المقدس فهو ما كتبته أيادي البشر وفي هذا لا يمكن استبدال الأصل بالترجمة حتى أن الكثير أجزم باستحالة ترجمة القرآن الكريم ولكن

[1] ينظر: جمال محمد جابر: مرجع سابق، ص22.
[2] ينظر: صديق أحمد علي، المرجع السابق، ص90.
[3] ينظر: صديق أحمد علي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اكتفى بترجمة معانيه فقط[1]. فمثلا عيد "الهالوين" في الدول الأجنبية يعتبر أمرا غريبا في الدول العربية ولا يتناسب مع ديننا الإسلامي. والأمر نفسه ينطبق على "عيد الأضحى" فهو عيد ديني تحتفل به الأمة العربية الإسلامية في جميع بقاع العالم ولكن هذا الأمر يبقى غريبا بالنسبة للأمة الغربية لأنه لا توجد في ثقافتهم ودينهم مثل هذه الأعياد.

ولا شك في أن ترجمة المصطلحات والمفاهيم الدينية ترجمة صحيحة ودقيقة أمر في غاية الأهمية لمن يتوخى الدقة في ترجمتها ويجتهد في إيصال المعاني إلى قراء اللغة المنقول إليها.

فلكل شعب وبلد دينه وثقافته ومعتقداته لكن يجب على المترجم أن يكون محترفا ولا يمكن السماح له أن يبادر بترجمة التفاسير الدينية حتى يتأكد من وصوله للاحترافية الكاملة. لذلك وجب على المترجم أن يضع في الاعتبار دائما أن ما يسعى إليه في الترجمة الدينية هو التوصل إلى حرفية المعنى وليس حرفية من حيث الشكل. وعلى ذلك يجب عليه في الترجمة الدينية التوصل إلى المضمون، لأن مترجم النص الديني ينتمي إلى طبقة خاصة من المترجمين فلابد عليه أن يؤمن أو على الأقل يتعاطف مع رسالة النص.

3.3. صعوبات على مستوى المعيار السياسي

تكمن صعوبات ترجمة المصطلح السياسي في مشكلة الأمانة والفكر فهو يتميز بمصطلحات وألفاظ سياسية خاصة، وما يلفت الانتباه في النص السياسي عموما هو استعمال كثير من الكلمات بمعاني إيحائية ليس من السهل فهمها وإدراكها، حتى أن بعض المصطلحات لا تحمل نفس الدلالة بين مجتمع وآخر، وعليه يجب على المترجم أن ينتبه إلى هذه الجوانب من النص السياسي، فالخطأ في ترجمة نص سياسي قد يكون سببا في نشوب حرب بين بلد وآخر ثقافتهما السياسية مختلفة، ومنه

[1] ينظر: جمال محمد جابر: المرج نفسه، الصفحة نفسها.

ينبغي على مترجم النص السياسي أن يكون متعودا على النزاعات والتوجهات السياسية لثقافة النص الأصل وثقافة النص الوصل[1].

ففي السياسة نجد أن المجتمعات ذات النظم المختلفة تختلف في فهمها لكثير من الألفاظ الشائعة، حتى السياسية منها: الديمقراطية، الديكتاتورية، والاشتراكية والليبيرالية مثلا لا تعني الشيء نفسه في روسيا وأمريكا[2]. فما تراه إيران حرية تعبير تراه الولايات المتحدة الأمريكية تعديا على الشرعية الدولية، ومفهوم البرلمان في العراق غير مفهومة في إنجلترا، ويصح الشيء نفسه على مفهوم النقابة والاستغلال بل وعلى الوطنية القومية. ويشكل الاختلاف في أنظمة الحكم بين العالم العربي والعالم الغربي عوائق وفجوات ثقافية ولغوية تصعب في أغلب الأحيان على المترجم العربي غير المطلع على خباياها وحيثياتها من مهمة نقلها إلى اللغة العربية، على سبيل المثال الاختلاف بين نظامي الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر قد يطرح العديد من الإشكاليات أثناء عملية الترجمة للاختلاف الشاسع بينهما، فالولايات المتحدة الأمريكية هي دولة فدرالية ذات نظام رئاسي، أما الجزائر فهي جمهورية ذات نظام شبه رئاسي[3].

وباعتبار أن لكل ثقافة وبلد النظام السياسي الخاص به، والذي يختلف بشكل كبير عن الأنظمة الأخرى، وهو ما يجعل من الترجمة السياسية صعبة ومعقدة، وهذا راجع إلى اختلاف الأوضاع والثقافة السياسية في اللغة المصدر عنها في اللغة الهدف، وكذلك إلى غياب المكافئ الثقافي والمعجمي لهذه المصطلحات والتعبيرات في معظم الأحيان.

كل هذه الاختلافات السياسية تواجهه المترجم صعوبة ترجمتها، وللقيام بهذه الترجمة السياسية يجب أن يتحلى المترجم بمهارات التي لا يمكن الحصول على المخرجات الصحيحة للعملية الترجمية

[1] جمال محمد جابر: مرجع سابق، ص34.
[2] جمال محمد جابر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] عادل عزام سقف الحيط: الدليل المعتمد للترجمة القانونية، ترجمة النصوص القانونية والمدنية والتجارية والحكومية والشرعية من وإلى اللغة العربية والانجليزية، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2012، ص 22.

السياسية إلا بها، فيجب على المترجم إيجاد المصطلحات السياسية والمعرفة بها وبمقاصدها المختلفة. والترجمة تتطلب الإلمام بالثقافة السياسية لإيصال المعنى بشكل صحيح للقارئ ويجب على المترجم أن يدرك كافة المصطلحات المتعلقة بالسياسة.

4.3. صعوبات على مستوى المعيار البيئي

لا يخفى على أحد أن الترجمة فن يعتمد أساسا على التمكن من لغتين، ولأن اللغة تحمل معانٍ وآثار البيئة والثقافة، فالإنسان يؤثر عليها ويتأثر بها، فالمعيار البيئي يلعب دورا مهما ورئيسيا في عملية الترجمة، وتعد صعوبة ترجمة المصطلح البيئي من أهم ما يعترض سبيل المترجم باعتبار أن ترجمة المصطلح البيئي تتضمن شحنات ثقافية تقف في خلفية النص الأصلي وتحيط به، وعلى المترجم حينئذ أن يترجم ليس فقط العناصر الثقافية المختلفة للإطار البيئي بل أيضا عليه أن يترجم مكان هذا العنصر في المجتمع كله، خاصة إذا كانت هذ المصطلحات من بيئة ثقافية ومعرفية غير عربية حينئذ يتحتم على المترجم أن يكون حذرا بإدراكه لمعناه الأصلي[1]. فالكلمات التي لها أكثر من دلالة في لغة ما قد لا تكون لها نفس الانعكاسات المؤثرة في لغة أخرى. فالكثرة الكثيرة من كلمات اللغة العربية تعكس الحياة الصحراوية، فالفرد العربي لديه عشرات الألفاظ الدالة على التمور بأنواعها وكذلك مسميات الجمل أو السيف، شأنه شأن الشعوب الأخرى التي تستوحي مفرداتها وتستنبط معانيها من صميم بيئتها، فمثلا شعب الإسكيمو لديه مسميات كثيرة عن الثلج على عكس الشعب العربي، وربما التمر الذي يعد من أشهر الفواكه التي يحبها ويتناولها العرب يكون عندهم (عند شعب الاسكيمو) من الثمار المجهولة، كما أن لغة الشعب القاطن على ضفاف البحار غنية بمسميات الأسماك وثمار البحر المختلفة، الشيء الذي تفتقره اللغة العربية نظرا لطبيعتها الجغرافية فالبيئة تنعكس بوضوح على تعبير الفرد[2].

[1] ينظر: جعلالي جوهرة: مرجع سابق، ص15.
[2] ينظر: جعلالي زهرة: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويتعلق الأمر هنا بالحيثيات الجغرافية واختلاف الخلفيات من حيث المناخ والنبات والحيوان، ولا شك في كون اللغة تتأثر كثيرا بالبيئة الطبيعية التي تحيط بها، فهي تستمد كثيرا من ألفاظها، مما يجعل المترجم في حيرة من أمره ويواجه صعوبات وعقبات في ترجمتها من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف.

كل هذه الحواجز التي تعترض مترجم النص الأدبي أثناء قيامه بالعملية الترجمية التي من شأنها نقل النص من لغة إلى أخرى ومن قارئ في لغة معينة إلى قارئ في لغة أخرى ومن فرد ينتمي إلى ثقافة معينة إلى آخر ينتمي إلى ثقافة تختلف عن الأولى من حيث الأعين التي ترى بها العالم، حتمت على المترجمين أمثال "ماريان ليديرير" العمل على وضع استراتيجيات من شأنها تسهيل الانتقال من ثقافة إلى أخرى أثناء القيام بالعملية الترجمية، ما سميناه بالنقل الثقافي الذي سوف نتطرق إليه فيما يلي.

4. مفهوم النقل الثقافي في الترجمة

إن مفهوم النقل الثقافي يرتبط بالفكر والجوانب الاقتصادية والنفسية والثقافية للمجموعات الاجتماعية، غير أن الحياة الفكرية هي أكثر قابلية للملاحظة المنظمة من غيرها فيما يختص بالأشياء والأشخاص ودلالاتها الرمزية، وبالتالي يمكننا القول إن النقل الثقافي يهدف إلى بناء مرجعية لثقافة أجنبية في الثقافة المستقبلة حيث تكون العلاقة بين الترجمة والنقل الثقافي علاقة تداخل، فيمكن أن تكون الترجمة جزء من النقل الثقافي كما يمكن له هو أن يكون هدفا لها[1]. إذا انطلقنا من المفهوم الواسع للثقافة، فإنها تحتوي على لغات المجتمع الذي نتكلم عنه، وفي هذه الحالة فالترجمة هي نوع من النقل الثقافي. ويمكننا القول أيضا أن الترجمة جزء من النقل الثقافي الذي يميز العبور من ثقافة إلى أخرى، ويكون هذا العبور عن طريق ترجمات متعددة ومختلفة أو أنماط أخرى من النقل فالترجمة

[1] ينظر: صديق أحمد علي: مرجع سابق، ص 97.

هي وسيلة للنقل الثقافي وجزء منه[1]. وتتجلى صعوبة النقل الثقافي في إشكالية تحديد مالا يقال أي ما يتضمنه النص من إيحاءات ثقافية.

وتعد "ماريان ليديرير" التي سنتحدث عنها في العنصر القادم من بحثنا هذا، من المنظرين الذين تطرقوا إلى صعوبة النقل الثقافي والتعبير عنه في لغة تختلف عن اللغة الأولى، حيث اعتبرتها (صعوبة النقل الثقافي) من أكثر الصعوبات التي تقف في وجه المترجم، وفي هذا الصدد تقول "ماريان ليديرير" :

« Parmi les difficultés de la traduction les plus souvent mentionnées, on trouve les problèmes dits culturels. Les objets ou les notions appartenant exclusivement à une culture donnée ne possèdent pas de correspondances lexicales dans la civilisation d'accueil et si on arrive à les exprimer néanmoins, on ne peut compter sur le lecteur de la traduction pour connaître avec précision la nature de ces objets et de ces notions ; les habitudes vestimentaires ou alimentaires, les coutumes religieuses et traditionnelles mentionnés par l'original ne sont pas évidentes pour la lecture de la traduction. Il ne s'agit pas seulement de savoir quel mot placer dans la langue de départ, mais aussi et surtout de savoir comment faire passer au maximum le monde implicite que recouvre le langage de l'autre.[2] »

"من بين صعوبات الترجمة التي يتم ذكرها في أغلب الأحيان، نجد ما يسمى بالمشكلات الثقافية. الأشياء أو المفاهيم التي تنتمي حصريًا إلى ثقافة معينة ليس لها تطابق معجمي في الحضارة المضيفة، وإذا تمكنا من التعبير عنها مع ذلك، فلا يمكننا الاعتماد على قارئ للترجمة لمعرفة بدقة طبيعة هذه الأشياء وهذه المفاهيم؛ الملابس أو عادات الطعام، العادات الدينية والتقليدية المذكورة في الأصل ليست واضحة لقراءة الترجمة. لا يتعلق الأمر فقط بمعرفة الكلمة التي يجب وضعها في اللغة المصدر، ولكن أيضًا وخاصة معرفة كيفية نقل العالم الضمني قدر الإمكان إلى اللغة التي تغطيها اللغات الأخرى." (ترجمتنا)

[1] صديق أحمد علي: المرجع نفسه، ص98-99.

[2] Lederer, Marianne : La traduction aujourd'hui. Le modèle interprétatif, Paris, P122 .

ومن خلال تناولها لإشكالية غياب المقابل اللغوي وصعوبة التعبير عن بعض المفاهيم التي ترتبط بالخلفيات الاجتماعية والحضارية اقترحت "ماريان ليديرير" بعض الاستراتيجيات التي تساعد المترجم أثناء النقل الثقافي، خاصة وأن لكل لغة رؤية مختلفة عن العالم، فبالنسبة لها، على المترجم أن يتعامل بحذر مع جهل قارئ النص الأصلي محاولا قدر المستطاع إيصال المعنى له. فوظيفة المترجم الأساسية هي إفهام القارئ من خلال تسليط كل ما هو مضمر، فكثيرا ما يجد المترجم نفسه أمام عناصر تعيق عملية النقل الثقافي بغض النظر عن الاستراتيجية التي تباناها أو القرار الذي اتخذه.

5. نبذة عن "ماريان ليديرير"

"ماريان ليديرير" « Mariane Lederer » هي أستاذة ومديرة سابقة للمدرسة العليا للتراجمة والمترجمين عرفت بانشغالها بالبحث والتنظير في دراسات الترجمة، فكانت تلميذة "دانيكا سيلسكوفيتش" « Danica Seleskovitch » وأسست معها للنظرية التأويلية في الترجمة، تقلدت عدة مناصب وهي حاليا تشغل منصب بجامعة السوربون الجديدة وأستاذة في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بعد أن تولت دراستها لمدة تسع سنوات من 1990 إلى 1999 كما عينت مسؤولة مركز الأبحاث في دراسات الترجمة. عملت أستاذة في جامعة باريس الثالثة سنة 1985، وأستاذة في جامعة باريس XII منذ 1979 إلى 1985. ومارست على مدار عشرين سنة (من 1959 إلى 1979) مهنة الترجمة الفورية في مؤسسات خاصة وفي هيئات دولية، كما أنها عضو في الجمعية الدولية للتراجمة[1].

من مؤلفاتها:

La traduction simultanée (1981), La traduction aujourd'hui (1994), Le sens en traduction (2006).

[1] http://www.cavi.univ-paris3.fr/llpga/ed/dr/drml/index.htm

كثيرا ما يقترن اسم "ماريان ليديرير" الأستاذة والمترجمة واسم "دانيكا سيليسكوفيتش" رئيسة المدرسة العليا للمترجمين الشفويين والتحريريين بالنظرية التالية.

6. النظرية التأويلية في ترجمة النصوص الأدبية ونقل البعد الثقافي

إن النظرية التأويلية نظرية انطلقت من الممارسة، وكسبت دعم المتمرسين بالترجمة. ولهذه النظرية فضلاً عن ذلك انعكاسات دقيقة ومفيدة على أصول تدريس الترجمة. فلا يتعلق الأمر بنظرية مغلقة، لأنها تتجاوز من جهة نظرية الترجمة، وتهدف إلى شرح آليات اللغة والتواصل، ولأنها من جهة أخرى تتضمن في إطارها العام العديد من الدراسات الخاصة التي تدعمها وتكملها.

وإجمالا فإن الترجمة عملية معقدة تستدعي استحضار عدة معارف وتستلزم مهارات مختلفة متعددة. وحسب النظرية التأويلية، تنقسم هذه العملية إلى ثلاث مراحل:

- **الفهم (Compréhension)** وهي مرحلة تتلخص في تأويل الخطاب في اللغة الأصل للإحاطة بالمعنى المراد تبليغه في اللغة الهدف.
- **الانسلاخ اللغوي (Déverbalisation)** وهي مرحلة تهدف إلى تحرير المعنى من البنيات اللغوية للنص الأصل حتى لا تتداخل مع بنى اللغة الهدف في النص المترجم.
- **إعادة التعبير(Réexpression)** وهي المرحلة الأخيرة في عملية الترجمة وتهدف إلى إعادة صياغة نفس المعنى باحترام كامل لخصوصيات الكتابة في اللغة الهدف.

هذا التقسيم لا يعني أن ثمة استقلالا تاما لكل مرحلة، بل إن هذه المراحل تتكامل ويجمعها ارتباط وثيق يفضي في الأخير لإنتاج نص مترجم متماسك، واضح المعالم، يحترم المعنى الأصل ويأخذ بعين الاعتبار الشروط الجديدة لاستقبال الترجمة في اللغة الهدف[1]. كما أن هذه المراحل تتخللها عملية البحث التوثيقي التي تهدف إلى حشد المتممات المعرفية للمساهمة في تحصيل معنى النص

[1] محمد الشريف بن دالي حسين: المترجم كوسيط بين الثقافات، ترجمة ما لا مقابل له، مجلة معالم، المجلد8، العدد 11، ص21.

الأصل وكذا احترام الاستعمال الوارد في اللغة الهدف وفي الحقل المعرفي أو المهني الذي ينتمي إليه النص المراد ترجمته[1].

7. استراتيجيات النقل الثقافي عند "ماريان ليديرير"

تتواصل الشعوب عامة فيما بينها عن طريق مجموعة من النصوص في شتى المجالات، وخاصة تلك المرتبطة بالأدب والفنون وغيرها من المواد، ومن أجل نشرها هنا وهناك، لزم الأمر تدخل فاعل آخر وهي الترجمة، ولعل أكبر إشكال يواجه المترجم هو الفروقات الشاسعة والاختلاف الكبير في الثقافات والتقاليد والعادات والأديان لتلك الشعوب، فلكل أمة أفكارها وتقاليدها وميولاتها ونظرتها إلى الدنيا وإلى العالم، فكيف يمكن للترجمة تذليل تلك الصعوبات بحيث تحدث النسختين نفس التأثير الذي يريده الكاتب في اللغة الأصل ويبحث عنه المترجم في اللغة الهدف.

يعد الموروث الثقافي أمر يتمسك به الأفراد والأمم، فلا أحد يمكنه أن يتجاهل النظر عما ورثه من الآباء والأجداد، لهذا الغرض، نظر الكثير من المختصين في علم الترجمة، ومنهم "بيتر نيومارك" و"ماريان ليديرير" من خلال كتاباتهم في نظريات تعني بالجانب الاجتماعي والثقافي للعملية الترجمية، فـ "بيتر نيومارك[2]" أسس النظرية السوسيوثقافية وكان يرى أن الترجمة توصل المعنى من خلال التقيد بالمرجعية الثقافية، فالمترجم يخصص حيزا كبيرا لإيجاد الحلول للفوارق الثقافية بين اللغتين الأصل والهدف. كان "نيومارك" يؤكد دوما على ضرورة التقيد بترجمة المعنى لا الكلمات، فارتبط اسمه بالترجمة التواصلية والدلالية، يقول في هذا الشأن "بن أباجى نذير" و"صوفي بلقاسم": "عرف "بيتر نيومارك" بنظرية الترجمة التواصلية والدلالية، على أساس التكافؤ الديناميكي بين النصوص معيرا اهتمامه للسياق اللغوي والسياق الثقافي لتحليل معاني الكلمات الموضوعة في النصوص..." [3]، وفي

[1] محمد الشريف بن دالي حسين: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] بيتر نيومارك أستاذ جامعي للترجمة انجليزي الأصل.
[3] بن أباجي نذير وصوفي بلقاسم: ترجمة المضامين الثقافية في كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بن زيان"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الترجمة، شعبة الترجمة، قسم الإنجليزية، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،2017.

هذا الخصوص نجد مثلا أن كلمة "ابن الخال" و"ابن العم" ليست نفس الشخص في اللغة العربية، لكنها تترجم في اللغة الفرنسية بالكلمة ذاتها « cousin » ، كذلك نفس اللفظ يمكن ترجمته بـــ « Le fils de mon oncle »، وهو ما يؤكد ضرورة التنظير في مجال ترجمة النقل الثقافي وهو ما اجتهد فيه الكثيرون ومنهم "ماريان ليديرير".

من جهتها، بنت "ماريان ليديرير" أفكارها من خلال الصعوبات التي يتلقاها المترجم لنقل المظاهر الثقافية في لغتين تختلفان عن بعضهما البعض، فهذا الاختلاف يؤدي حتما إلى فروقات ثقافية بين لغة الانطلاق ولغة الوصول، وهو ما يسبب غياب المقابل اللغوي لبعض المصطلحات والمفاهيم المرتبطة أصلا بالموروث الثقافي والاجتماعي والديني للمجتمعات باختلاف مشاربها، ومن هنا جاءت فكرة التأسيس لاستراتيجيات أو تقنيات وضعتها تحت تصرف المترجمين لتذليل كل تلك الصعوبات التي يواجهها المترجم في نقل الخصوصيات الثقافية بين لغتين اثنتين، نوجزها فيما يلي:

1.7. التبديل (Conversion)

تعتبر "ليديرير" أن المهمة الأصلية للمترجم هي نقل المعنى وليس نقل العبارات والألفاظ، فلا يجب أن يرتبط المترجم بالكلمات ويتقيد بها بحيث يقع في فخ الترجمة الحرفية التي لا تؤدي المعنى المراد إيصاله للجمهور المتلقي، فإن لزم الأمر يمكن له تبديل الألفاظ بألفاظ أخرى مع مراعاة النقل الثقافي للجمهور المستهدف.

يقول "أنطوان بيرمان[1]": "الفعل الأخلاقي في الترجمة يتمثل في عملية الاعتراف بالآخر كآخر"[2]، فحين نقوم بالترجمة لا يمكننا فرض المقومات الدينية والأخلاقية على الجمهور المتلقي بل يجب احترام مقوماته الدينية والثقافية، فعلى سبيل المثال، إن ورد في النص الأصلي الذي يتحدث عن طريقة إعداد الأطباق ويذكر "لحم الخنزير"، ونحن نعلم أن أكل هذا النوع من اللحوم المستخرجة من

[1] أنطوان برمان ناقد أدبي ومترجم وفيلسوف وكاتب فرنسي.
[2] أنطوان برمان: الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي، مراجعة جورج كتورة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص102.

بعض الحيوانات محرم في الإسلام، فيمكن للمترجم تبديل اللفظ "لحم الخنزير" مثل "لحم الخروف" أو "لحم الإبل"، وهو نفس الأمر إذا ذكر مثلا شرب الخمر المحرم في الإسلام، فمن أجل احترام مشاعر المسلمين، يمكن تبديل لفظ "الخمر" مثلا بـ "الشاي" الذي يعرف رواجا كبيرا في بعض المجتمعات العربية.

2.7. التكييف (Adaptation)

تطرح "ليديرير" هذه الاستراتيجية حين يجد المترجم المكافئ في اللغة الهدف، غير أنه لا يطابق كليا المعنى أو التأثير المراد إيصاله، فيلجأ إلى التكييف، وهو تكييف النص الأصلي مع ثقافة الجمهور المستهدف، يرجع ذلك للفروقات العقائدية والدينية والأخلاقية بين الثقافتين الأصلية والمستهدفة.

التكييف وهو أقصى حد في حدود الترجمة، يعتبر الأسلوب الأكثر رقيا، يلجأ إليه المترجم في بعض الأحيان من أجل تذليل بعض الاختلافات الموجودة بين ثقافة وعادات وتقاليد جمهوري لغة الانطلاق ولغة الوصول. حين تختلف الأديان والتقاليد والمبادئ، حتما تتغير الأساليب في إحداث نفس الأثر الذي يبحث عنه كاتب النص الأصلي، ليولده المترجم لدى الجمهور المستهدف.

جاء في تعريف التصرف في كتاب "فيني[1]" و"داربلني[2]":

« Avec ce septième procédé, nous arrivons à la limite extrême de la traduction ; il s'applique à des cas où la situation à laquelle le message se réfère n'existe pas dans la, et doit être créée par rapport à une autre situation, ce qu'on juge équivalente. »[3]

[1] جان بول فيني أستاذ جامعي كندي وفرنسي.
[2] جان داربنلي دارس في علم اللسانيات.
[3] J.P. Vinay & J.Darbelnet, Stylystique comaprée du Français et de l'Anglais. Didier : Paris, 2eme édition, 1972, P52 .

"نصل إلى أقصى حدود الترجمة من خلال الأسلوب السابع هذا، نطبقه في الحالات التي تفتقر فيه لغة الوصول للحالة المرتبطة بالرسالة المراد إيصالها، فنضطر لإنشاء صورة أخرى والتي نرى أنها تؤدي إلى نوع من التكافؤ". (ترجمتنا)

من أجل توضيح هذه النقطة، نضرب مثلا بترجمة كلمة « baptême » من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، فهذه الكلمة تعني تلك الطقوس التي يقوم بها الناس في الدول المسيحية لارتباط بالكنيسة، تخصص للأطفال الصغار.

Définition Larousse : « Dans la religion chrétienne, sacrement premier et fondamentale qui constitue le signe juridique et sacrale de l'insertion dans l'église du christ. »[1]

تعريف قاموس Larousse: " في الديانة المسيحية، السر الأول والأساسي الذي يشكل العلامة القانونية والمقدسة للاندماج في كنيسة المسيح." (ترجمتنا)

فكما يقابلها في اللغة العربية إذا أردنا ترجمة هذه الكلمة الروحانية المرتبطة ببعض الطقوس الدينية، لجمهور مسلم وليس مسيحي (كوننا نجد في العديد من الدول العربية ديانات غير الإسلام)، نجد المكافئ الدقيق هي حفلة التعميد، غير أننا نبحث عن مقابل آخر يحدث نفس التأثير في اللغة العربية، فيمكن أن نكيف الحالة ونقترح إما "الختان" الذي هو من الطقوس الدينية في الإسلام، أو ربما نقترح كذلك "العقيقة" والتي هي كلك طقس من الطقوس التي نقوم بها في الدول الإسلامية لإحلال البركة على المولود الجديد.

Cette technique est utilisée lorsque le référent existe, mais lorsqu'il est d'un ordre différent comme « high school » aux Etats-Unis qui est souvent traduit par « lycée » en français, même si ces deux institutions ne sont pas identiques.[2]

[1] Dictionnaire Larousse, version électronique, consulté le 26 novembre 2022 à 15h58.
[2] Skilbred, Camilla, Le transfert du culturel dans la traduction de poisson d'or, Hostens, 2005, P41.

"يتم استخدام هذه التقنية عندما يكون المرجع موجودا، ولكن عندما يكون بترتيب مختلف مثل « high school » في الولايات المتحدة والتي غالبا ما تُترجَم « lycée » باللغة الفرنسية، حتى لو لم تكن هاتان المؤسستان متماثلتين." (ترجمتنا)

Un autre exemple : On trouve dans les traductions des « cabinets juridiques », mais il a semblé préférable à la majorité des traducteurs de traduire « law firm » par « cabinet d'avocats ». Certes un lawyer n'est pas obligatoirement avocat ; mais pour qui connait un tant soit peu les Etats-Unis, la fréquence de l'intervention des « law firms » dans la réalité américaine est telle, les actions en justice si fréquentes, que la traduction a tenu compte de ces réalités culturelles en choisissant cabinet d'avocats[1].

"مثال آخر نجده في ترجمات «cabinets juridiques»، ولكن يبدو أن أغلب المترجمين يفضلون ترجمة « law firm » بـ « cabinet d'avocats » صحيح أن « un lawyer » ليس بالضرورة « avocat » ولكن لمن يعرف الولايات المتحدة ولو قليلا يدرك أن تواتر مداخلة « law firms » في الواقع الأمريكي هي هكذا، والإجراءات القانونية متكررة لدرجة أن الترجمة أخذت هذه الحقائق في الحسبان باختيارها « cabinet d'avocats »." (ترجمتنا)

3.7. التصريح (Explicitation)

في الكثير من الأحيان، حين يقوم المترجم بترجمة نص ما من اللغة (أ) إلى اللغة (ب)، يجد بعض المصطلحات التي ترتبط حصرا بالجمهور الأصلي، أي ذلك المستهدف من طرف كاتب النص الأصلي، وحين يترجمها يجد فراغات معجمية، وتتعقد العملية إذا حاول البحث في المعاجم والقواميس، فكلما بحث وجد نفسه عاجزا عن إيجاد المقابل في اللغة الهدف، ومن هذا المنطلق، وضعت "ليديرير" استراتيجية التصريح من أجل تذليل الغموض والإبهام الذي سيصيب قارئ الترجمة، زمن هذا المنطلق مادام الفكرة لا يمكن بلورتها بالتأثير نفسه الذي أحدثه كاتب النص الأصلي، وجب على المترجم إضافة لفظ أو كلمة تساعده في الترجمة الدقيقة والمضبوطة، فمثلا إذا ورد لفظ « Carrefour » في

[1] Lederer, Marianne, La traduction aujourd'hui. Le modèle interprétatif, Paris, P124.

نص معين، يتعين على المترجم أن يضيف كلمة لتوضيح الفكرة بطريقة جيدة لأن « Carrefour » هي عبارة عن متاجر فرنسية أو مساحات كبرى للتسوق، ومن هنا وجب على المترجم الرجوع لتقنية "ليديرير" المتمثلة في التصريح وإضافة كلمة متاجر لتصبح "متاجر كارفور" ويمكنه حتى إضافة "فرنسة" لأنها علامة فرنسية حصرية[1].

« Parfois, le lecteur d'une traduction s'arrête sur des éléments qui ne sont pas clairs parce qu'ils appartiennent à l'univers de l'autre et non pas au sien. Très souvent le contexte fournit la réponse, et fait qu'une explication de la part du traducteur devient superflue. Dans le cas où le contexte ne donne aucun indice, le traducteur peut expliciter, mais il doit rendre explicite les implicites culturels et non les implicites du sens, afin de donner aux lecteurs les mêmes possibilités d'interprétation que les lecteurs de l'original. »[2]

"أحيانا يتوقف قارئ الترجمة عند عناصر غير واضحة تنتمي إلى عالم الآخر وليس له، وغالبا ما يقدم السياق الإجابة، ويصبح التفسير من جانب المترجم غير ضروري. في الحالة التي لا يعطي فيها أي إشارة، يمكن للمترجم أن يوضح بشكل صريح، ولكن يجب عليه توضيح المضامين الثقافية لا مضامين المعنى من أجل إعطاء القراء نفس إمكانيات تأويل قراء النصوص الاصلية." (ترجمتنا)

4.7. الترجمة المتمركزة عرقيا (Ethnocentrisme)

اتفق جميع المنظرين في الترجمة أن من بين أوجه الترجمة المرتبطة بترجمة النقل الثقافي الترجمة المتمركزة عرقيا، والتي ترجع كل شيء إلى ثقافة المترجم أو ثقافة الجمهور الذي يستهدفه المترجم، معتبرة أن كل ما يخرج عنها هو سلبيا ولا يؤدي المهمة التي وجدت من أجلها الترجمة، وهي إحداث نفس الأثر الذي يحدثه النص الأصلي في الجمهور الأصلي، فذهب البعض إلى مناهضة هذا النمط من الترجمة ومن بينهم "أنطوان برمان"، الذي أسس لفلسفة جديدة تشجع على تغريب النص الأصلي، فـ " برمان" من أنصار تغريب النص الأصلي بالنسبة للقارئ المستهدف بهدف نشر ثقافة

[1] محمد الشريف: مرجع سابق، ص43.
[2] Skilbred, Camilla, Le transfert du culturel dans la traduction de poisson d'or, Hostens, 2005, P41.

غريبة وتقريب الشعوب فيما بينها البعض، حيث أن برمان يرى أنه من الجميل أن تكون الترجمة منبعا لاستقبال الغريب، ثقافته وتقاليده وديانته، فهو يرى أنه من الأفضل الانفتاح على الآخر والتحاور معه والتفاعل معه، عن طريق مناهضة كل ما يتعلق بالتمركز العرقي في الترجمة[1].

كما ذهبت "ماريان ليديرير" في انتهاج نفس المنطق الذي جاء به "أنطوان برمان"، فلا بد للمترجم أن يجتهد في ترجمة بعض النصوص الثقافية بهدف تذليل صعوبة ترجمتها منتهجا فلسفة تقريب ثقافة الجمهور الأصلي إلى ثقافة الجمهور المستهدف عن طريق الترجمة، فمثلا إن أخذنا كلمة « monoprix » فهل يترجمه المترجم بكلمة " سوق الفلاح " مثلا المعروفة عند جميع الجزائريين وبالتالي يكون قد ألغى ثقافة الآخر، أو يلجأ لترجمتها حرفيا بتركها على حالها" مونوبري" ليفسح المجال للقارئ أن يتعرف على ثقافات أخرى.

تذهب "ليديرير" إلى وضع هذه الاستراتيجية "التغريب" في مواجهة استراتيجية أخرى "الأقلمة " أو "التوطين" مثلما يحلو للبعض تسميتها، مستشهدة بأهم أهداف الترجمة وأسباب وجودها وهو تقريب المجتمعات ببعضها البعض، حيث تقول :

« Le transfert du culturel consiste à approcher au lecteur étranger des connaissances sur un monde qui n'est pas le sien. Cet apport ne comble pas intégralement la distance entre les deux mondes, mais entre-ouvre une fenêtre sur la culture originale. [2]»

"يتمثل النقل الثقافي في الاقتراب من القارئ الأجنبي بمعارف عن عالم ليس عالمه، هذه المساهمة لا تقطع المسافة بين العالمين بشكل كامل، ولكنها تفتح نافذة على الثقافة الأصلية."

(ترجمتنا)

[1] أسماء بن سخرية: مرجع سابق، ص76.

[2] Lederer,Marianne , La Traduction aujourd'hui (le modèle interprétatif) , lettres modernes Minard, Paris, 2015, p 107.

نستخلص مما سبق أن صعوبة ترجمة كل ما هو ثقافي تكمن في المقاومة الشديدة التي تبديها الثقافة الوصل في مواجهة الثقافة الأصل. ولا يمكن في الوقت نفسه إنكار وجود تداخل بين الثقافات وبين اللغات، وبالرغم من ذلك يمثل النقل الثقافي إشكالية عويصة تعيق عمل المترجم، فيجد نفسه أمام معضلة وهي كيفية ترجمة الموروث الثقافي الذي يرتبط أشد الارتباط بالدين والثقافة والعادات والتقاليد والسياسة والبيئة. وانطلاقا منه وجب على المترجم معرفة حدود الثقافتين الأصل والهدف، قصد نقل العناصر الثقافية من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول بطريقة صحيحة تؤدي الرسالة ذاتها دون تجاوز الخطوط الحمراء للثقافة المستقبلة.

في هذا الفصل النظري الثاني قمنا أولا بتعريف البعد الثقافي مع ذكر أنواعه وصعوبات ترجمته، ثم تطرقنا إلى مفهوم النقل الثقافي مع التعريف بـ "ماريان ليديرير" وذكرنا نظريتها التأويلية والاستراتيجيات التي وضعتها لتذليل الصعوبات التي تقف أمام المترجم أثناء العملية الترجمية. وسنقوم بتحليل نماذج مختارة من ترجمتنا ونقوم بدراستها وفق استراتيجيات "ماريان ليديرير" في الفصل التطبيقي الموالي.

الفصل الثالث
دراسة المدونة وتحليلها

إن العمل الروائي الذي اخترناه مدونة لمذكرتنا هو رواية «**Les vigiles**» للكاتب الجزائري "**الطاهر جاووت**".

سنتناول في هذا الفصل أولا التعريف بالمدونة وهي رواية «**Les vigiles**» ، ثم سنقوم بتقديم نبذة عن حياة "**الطاهر جاووت**" مع ذكر مؤلفاته وخصوصية الكتابة عنده، ثم سنقدم ملخصا للرواية قيد الدراسة باللغة العربية، مع ترجمة جزء من الفصل الأول من الرواية (من الصفحة 9 إلى الصفحة 23).

ثم سنتخرج بعض النماذج من الرواية ونخضعها لدراسة تحليلية باستعمال الاستراتيجيات التي وضعتها "مريان ليديرير".

1. نبذة عن الأديب "الطاهر جاووت"

"شهيد القلم"، "شهيد الكلمة والفكر الحر"، "أيقونة الصحافة الجزائرية"،"إبن جرجرة"، "الصحفي الشجاع والمتمرد" كل هذه وغيرها ألقاب شرف أطلقت على الكاتب، الشاعر، الروائي و الصحفي "الطاهر جاووت" الذي ولد بتاريخ 11 يناير 1954 بقرية "أولخو" ببلدية "آيت شفعة" الساحلية ضواحي "أزفون" التابعة لولاية "تيزي وزو" بمنطقة القبائل، بعد بلوغه سن العاشرة انتقل "**الطاهر جاووت**" مع عائلته إلى الجزائر العاصمة أين بدأ مرحلته التعليمية وتابع فيها دراسته في ثانوية عقبة التي انتقل إليها سنة 1974 إلى غاية حصوله على شهادة البكالوريا، ثم توجه إلى دراسة تخصص الرياضيات بجامعة الجزائر العاصمة[1] .

كل هذه الفترات تخللها ازدياد ظهور البوادر الأدبية عند "**الطاهر جاووت**" الذي دخل عالم الصحافة والإعلام لحاجته في كسب عيشه قبل أن يصير متخصصا في الكتابة السياسية مبلورا فكره في الدفاع عن قضايا مصيرية وحساسة كان يخوضها المجتمع الجزائري آنذاك فحرر أول مقالاته النقدية في

[1] قناة "معلوماتك المفقودة" على اليوتيوب، 15-11-2022.

صحيفة المجاهد وكان مساهما من 1976 إلى 1977 في الملحق الثقافي لجريدة المجاهد، عام 1979 بعد انتهائه من الخدمة العسكرية الإجبارية، واصل كتابة مقالاته في جريدة المجاهد ثم تزوج[1].

بين 1980 و1984 عمل كمسؤول في القسم الثقافي للمجلة الأسبوعية "الجزائر الأخبار" الناطقة باللغة الفرنسية ونشر العديد من الأخبار عن الرسامين والنحاتين.

في 1985 يتلقى منحة لواصلة دراسته في باريس لدراسة علم المعلومات فاستقر هناك مع زوجته وبناته.

في 1987 عاد مرة أخرى إلى الجزائر العاصمة واستأنف تعاونه مع "الجزائر الأخبار" حيث كان نشاطه فيها متمركزا أساسا بالتعريف بالفنانين الجزائريين وذوي الأصل الجزائري في المهجر.

في عام 1992 غادرها ليقوم بتأسيس جريدة القطيعة الأسبوعية مع صديقيه "أرزقي مترف[2]" و"عبد الكريم جعاد[3]" ويصبح مديرا لها في 16 يناير سنة 1993 أين كانت البلاد تمر بأزمة سياسية خانقة.

عبر "**الطاهر جاووت**" عن التزامه القوي ضمن أسبوعية "القطيعة" حيث كان يدين بوضوح الإسلامي السياسي وكل ما يتعلق بنفوذه في المجالات الإيديولوجية والتعليمية والثقافية حتى أنه كان من المنتقدين لعمل الحكومة وما ترتب عنه ولم يترك مناسبة إلا وأدان فيها القتل ورافع من أجل السلام والأمن وناهض الإرهاب والإرهابيين بكل شجاعة.

قال "**الطاهر جاووت**":

« Le silence، c'est la mort، et toi، si tu te tais، tu meurs et si tu parles tu meurs alors dis et meurs.[4] »

" الصمت موت، فإن التزمت الصمت ستموت، وإن تكلمت ستموت، إذن تكلم ومت. " (ترجمتنا)

[1] المرجع نفسه، التاريخ نفسه.
[2] أرزقي مترف بلعيد كاتب وشاعر وصحفي جزائري.
[3] عبد الكريم جعاد صحفي وكاتب جزائري.
[4] قناة El Djazairia One على اليوتيوب، 15-11-2022.

قالها وكأنه فتح نافذة أطل بها على ميتته المستقبلية الشنيعة فيوم 26 ماي 1993 المصادف لغذاة نشره لمقال تحت عنوان "العائلة التي تتقدم، والعائلة التي تتأخر" ، على الساعة العاشرة أمام سيارته الواقفة أمام مسكنه، تعرض "الطاهر جاووت" لإطلاق النار بعد المناداة علية باسمه للتأكد من هويته من طرف القاتل، و توفي يوم 2 جوان 1993 بعد أن قضى أسبوعا في غيبوبة متأثرا برصاصتين استقرتا في رأسه و دفن بمسقط رأسه يوم 4 جوان من نفس السنة ، وبهذا كان "الطاهر جاووت" أول صحفي جزائري يغتال على يد الإرهاب في الجزائر في العشرية السوداء.

فيقول صديقه "أرزقي مترف" عن اغتياله مصرحا لقناة فرانس 24 :

« C'est un attentat contre la partie la plus pure de l'Algérie[1]. »

"إنها جريمة في حق أنقى ما أنجبته الجزائر." (ترجمة القناة)

وعن الكاتب "الطاهر بن جلون[2]" في نفس السياق ولنفس القناة:

« C'était un choc et c'était l'époque où les assassins en Algérie ont décidé de vider l'Algérie de ses intellectuels[3]. »

"صدمت كثيرا باغتياله. كانت الفترة التي قرر فيها المجرمون تصفية الجزائر من مثقفيها." (ترجمة القناة)

2. أعماله[4]

كان "الطاهر جاووت" شهيد القلم وكان قلمه ولازال شاهدا عليه من خلال أعماله الخالدة التي تراوحت بين عدة قصائد شعرية نشر بعضها في بداية السبعينات في مجلات شعرية جزائرية وتونسية ومغربية، هذه القصائد التي كانت انعكاسا لثقافته ووعيه الواسعين وفيما يلي أبرز أعماله:

[1] قناة France 24 على اليوتيوب، 15-11-2022.
[2] الطاهر بن جلون كاتب فرنسي من أصول مغربية.
[3] قناة France 24 على اليوتيوب، 15-11-2022.
[4] www.alaraby.co.uk consulté le 26-11-2022

- المدار الشائك (قصائد) صدر عام 1975
- القوس حامل الماء (قصائد) صدر عام 1978
- قاطن الجزيرة وشركائه (قصائد) صدر عام 1980
- العصافير المعدنية (قصائد) صدر عام 1991
- امرأة منزوعة الملكية (رواية) صدر عام 1981
- الباحثون عن العظام (رواية) صدر عام 1984
- فخاخ الطيور (مجموعة قصصية) صدر عام 1984
- اختراع الصحراء (قصة قصيرة) صدر عام 1987
- العسس (رواية) صدر عام 1991
- الكلمات المهاجرة (ديوان شعري) صدر عام 1984
- الصيف الأخير للعقل. (رواية) صدر عام 1999
- الانقلاب على الجدار الشائك (قصائد)

3. خصوصية الكتابة عند "الطاهر جاووت"

ولد "**الطاهر جاووت**" في بلد كان تحت وطأة الاستعمار، كسائر أبناء جيله عانى الطفل "الطاهر" من الجوع والفقر إضافة إلى نذرة التعليم الذي كان يقتصر فقط على فئة قليلة من أبناء الأثرياء، لكن إصراره على النجاح وغيرته على وطنه والمواطنين أمثاله جعلت منهم قامة من قامات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية إلا أن نجمه الذي لمع لم يزده إلا تواضعا واحتراما لأهله وبلده.

القارئ المتمعن لكتابات "**الطاهر جاووت**" يظهر له بوضوح تناوله للجزائر الحديثة بكل عراقيلها البيروقراطية والاجتماعية واهتمامه بتوجهاتها (توجهات الجزائر) الإيديولوجية والفكرية حيث كان ينظر مليا إلى الخيارات السياسية والاقتصادية التي كانت تنتهجها الحكومة وكان يرى أنها تستوجب النقاش

والانتقاد الواسعين و يتساءل عن العلاقة بين الحياة الشخصية للفرد الجزائري والتاريخ الرسمي ، وهذا ما كان يعبر عنه من خلال الشخصيات التي يكتب عنها في رواياته حيث يجعلها ترتدي جسد و روح و عقلية المواطن الجزائري و يجعل من الأحداث التي يقوم بسردها والتي تعيشها هذه الشخصيات مماثلة هي الأخرى للواقع المعاش بحذافيره دون زيادة أو نقصان أو حتى تقنين، كل هذا من شأنه جعل القارئ هو الآخر على دراية وإلمام بما عاشه وعايشه المواطن الجزائري و ما عاناه، أو أعمق من الدراية و الإلمام فقارئ روايات "الطاهر جاووت" كثيرا ما يتسلل إلى جلد الشخصيات ويخوض عن قرب غمار الرواية و يكون هو الآخر شاهد بصر نتيجة ما يتبادر إلى ذهنه من التخيلات الصورية التي ترسمها براعة التعبير في الوصف الدقيق عند "**جاووت**" و شاهد بصيرة بفعل ما يلقى في قلبه من مشاعر ترسمها هي الأخرى كفاءة الكاتب نفسه في التأثير على أحاسيس القارئ من خلال أسلوبه الجميل المسترسل في سرد الأحداث المشوقة التي تحركها شخصيات متمردة في أغلب الأحيان تمرد هذا الشاعر الذي أطلق العنان لقلمه فراح يكشف كل مستور ويتكلم عن كل محظور، هذا التمرد الذي عرف به شاعرنا و لمسناه فيه عن بعد من خلال اطلاعنا على كتاباته، لمسه "الطاهر بن جلون" عن كثب حيث تحدث عنه في حوار تلفزيوني مسجل مع قناة فرانس24 قائلا :

« Dans sa poésie ou dans sa littérature il y a les germes d'une révolte profonde qui est d'un poète ،un poète est quelqu'un de révolté ،il n y a pas un poète tranquille ,ça n'existe pas. Rimbaud était tellement révolté qu'il a quitté la France, il est parti dans des territoires très lointains…[1] »

"نجد دائما في شعره وفي رواياته علامات التمرد والذي عادة ما يتميز به الشعراء، فالشاعر يعبر دائما عن ثورة عميقة، أنا لا أعرف شاعرا هادئا. أنظروا إلى رامبو لقد دفعه تمرده إلى مغادرة فرنسا في إيجاد بلاد بعيدة ..." (ترجمة القناة).

[1] قناة France 24 على اليوتيوب، 15-11-2022.

إضافة إلى تميز "**الطاهر جاووت**" بالشجاعة والتمرد في كتابته ومقالاته وقصائده ورواياته، بإمكاننا استقراء نضج شخصيته كإنسان وكممارس للكتابة إلى جانب استقراء ثقافته ووعيه اللذين يعكسان إلمامه بموضوع الشعر خاصة والكتابة عامة.

وبموته انتصر "**الطاهر جاووت**" على ميتته بينما هُزم لآخرون كثر في حياتهم وأسمع صوته وهو راقد تحت التراب بينما غابت أصوات العديد من الأحياء.

4. عرض المدونة

«**Les vigiles**» هي رواية مشهورة للمؤلف الجزائري "**الطاهر جاووت**" الذي راح ضحية الإرهاب في الجزائر. نشأت هذه الرواية متصلة بالواقع السياسي المضطرب في البلاد، وكان الموضوع الغالب عليها والمتحكم فيها هو مضمون القضايا السياسية والأزمات التي هزت البلاد في تلك الفترة، ولقد سايرت هذه الرواية الواقع المرير الذي عايشيه المجتمع الجزائري وهذا راجع إلى الأوضاع المأساوية التي مر بها الوطن ونقلت مختلف التطورات التي طرأت على البلاد فهي شاهدة على ماض مؤلم فهذه الراوية تنبئ عن وضعية وطن ما بعد الاستعمار. ما تبينه لنا القصة هو ولادة سلطة وقوة جديدة تحت اسم مناضلي الثورة الجزائرية والتي تستمد جذورها من الإدارات ومن سياسة هدفها الوحيد الحفاظ على دولة في طور النشأة وحمايتها من أي خطر يمكن أن يضر في أي لحظة بتوازن هذا الحكم البيروقراطي الفاسد.

تربط هذه الرواية ما بين ماض عويص وصعب بقي للتاريخ واستقلال جاء بعد تعطش ومحاولات من أجل العيش بعد تفاقم المعاناة والحرمان. فبداية الرواية عبارة عن عودة للوراء، تستأنف أهم الأحداث وأبشع الذكريات التي تطارد روح المجاهد السابق "منور زيادة" الذي لا يقبل الظروف الجديدة لبلاده. وبعد ذلك تتحدث الرواية عن شخصية محفوظ لمجد الشاب الذكي والطموح الذي يتفاعل بطريقته الخاصة لتغيير الأشياء في قريته لأنه ضد الجهل، فتسببت إقامته وعودته المفاجئة منذ الوهلة الأولى في قيام

اضطراب وحرب داخل نظام عقيم يعتقد أنه يدير ويتحكم في كل شيء لفائدة مصالحة الشخصية وحيله المخادعة، فشكل رجوع لمجد إلى القرية اختلال توازن ومشاكل بين سكان سيدي مبروك، ولكن هدف لمجد هو فقط أن يضفي ابتكارات واختراعات لهذه القرية الصغيرة لتسهيل العيش فيها. فيواجه كل من "منور زيادة" و"محفوظ لمجد" نظام فاسد وعقيم يعتقد أنه يحتكر كل شيء. فتهدف هذه الرواية للمطالبة بحقوق المواطنة والإنسانية للشعب الجزائري. فقد لاحظنا جزء من العناد عند المؤلف عندما يتعلق الأمر بإهمال الإبداع البشري والطموح ويظهر قوة شخصية المخترع "محفوظ لمجد".

هذه الرواية غنية بالتعابير الشعرية والبلاغية، ولا نندم أبدا لاختيارنا لها لأنها مشوقة وفيها أحداث مثيرة قرأناها بشغف، وتعلمنا منها الكثير من الأشياء التي كنا نجهلها.

5. ملخص الرواية

تظهر لنا القصة قتال شخصين:

- "منور زيادة": وهو مجاهد سابق، هذه الشخصية هي بمثابة شاهد وكاشف عن إنسانية تعرضت لسوء المعاملة والتعذيب، فهو المنفي والأجنبي وكبش فداء لنظام يلجأ إلى التضحية بدلا من العدالة، فهو يخاف من الظلام ومن البقاء بمفرده، لا يبدي أي اهتمام لزوجته. قرر زيادة الاستقرار في المدينة للاستفادة من امتيازات استقلال بلاده.

تحكي بداية الرواية عن العذاب واستحضار الموت وتتسم هذه المرحلة بذكرى ثقيلة للحرب والندم الذي يثقل جسد وروح منور زيادة، فالحياة الحضرية الجديدة لهذا المحارب القديم الذي يتمتع بمزايا الحرب، يتعلم العيش مع حقبة جديدة لكنه يفتقد حياته كرفيق ولا يمكنه التكيف مع أسلوب حياته الجديد. فمنور يحب التحدث مع الناس عما عاشه خلال فترة الحرب خصوصا مع صديقه "مسعود مزير" الذي يبوح له بأسراره، "مسعود" في الحقيقة تاجر محتال وسارق يفضل الربح على الخسارة، فهو يرمز إلى

الأشخاص الماديين الذين استغلوا الأزمة السياسة والاقتصادية التي هزت البلاد في فترة الثمانينيات والتسعينيات لتنفيذ حيله الشيطانية، إنه شخص غير نزيه يخدع دائما الناس.

- "محفوظ لمجد" (الشخصية الرئيسية): شاب في الثلاثينات من عمره، فهو رجل ذكي وطموح مفعم بالحياة والروح، عاش طفولته في القرية مع جدته وأصدقائه وهو شاهد على نظام يمارس التحييز والظلم على سكان هذا البلد. وهو ضد الجهل ويقاتل من أجل أفكاره في بلد كثر فيه الفساد، فمحفوظ شاب مثقف يحب القراءة والموسيقى فهو نموذج مثالي لأقرانه، فهو يسعى وراء طموحاته وأهدافه، يذهب محفوظ إلى بلدية سيدي مبروك لاستخراج جواز لكن يتم لرفض طلبه لأسباب لم يتم تحديدها، على الرغم من الصعوبات والعقبات التي واجهته استطاع في الأخير التحصل على جواز سفر وتمكن أخيرا من المشاركة في مسابقة للاختراعات في هايدلبرغ بألمانيا. وبعد مدة عاد إلى بلدته وقرر عند الوصول إلى سيدي مبروك (المدينة التي قرر فيها تصميم وتسجيل براءة اختراعه) إعادة إحياء حرفة النسيج لجدته.

سيواجه كل من "منور زيادة" و"محفوظ لمجد" بشكل مشترك فساد النظام الذي يتمتع بالسلطة.

المخترع الشاب يرغب في تجديد حرفة النسيج ضد هذا النظام البيروقراطي للحفاظ على التقاليد، يبدوا أنه على هذا النحو شكل مصدر إزعاج وقلق لعادات وهدوء "منور زيادة" وقريته سيدي مبروك، أحدث وصول "لمجد" تغيرا وتساؤلات في آذان كل المواطنين فيرغب "لمجد" بتحقيق حلمه بأي ثمن. ويتغلب على الحواجز التي فرضتها عشيرة المقاتلين، وجب عليهم تكريم هذا النصر ومن أجل إزالة خدعهم وجب عليهم إيجاد كبش فداء. ينتهي الأمر بمحفوظ لمجد بتسجيل براءة اختراع لألته والنجاح في مواجهة نظام يمارس البيروقراطية، أحدث نجاح وانتصار المخترع ضجة كبيرة في سيدي مبروك ووجب على قادة القرية الاحتفال وتكريم طموح "لمجد".

قدمت لنا الرواية نهاتين انتصارا وانتحارا، من جهة ينتهي الأمر بـ "محفوظ لمجد" بتسجيل براءة اختراع لآلته ويتمكن من الفوز ضد نظام كان يعتقد أنه يحتكر كل شيء، ومن جهة أخرى، انتهت الرواية بشكل مأساوي لأن "منور زيادة" المحارب السابق انتحر بسبب التوترات والندم الذي عانه وأجبرته عشيرة المقاتلين على ذلك.

ما تسبب في هذه المأساة هو نجاح هذا المعلم الشاب من جهة والعواقب التي لم يقرها الجناة الحقيقيون من جهة أخرى.

6. ترجمة جزء من الفصل الأول من رواية « Les vigiles » ص 9-24

Cela fait des années que le vieux Menouar Ziada est dédaigné par les messagers de Morphée. Souvent, il rêve de glisser dans le sommeil, de dégringoler les marches qui conduisent vers le monde souterrain ou la conscience se dissout. C'est un état de bienfaisante hébétude ou il s'imagine arranger des draps, vérifier le moelleux des oreillers, écouter décroitre les bruits qui pourraient altérer un sommeil paradisiaque. Mais cela ne dure pas. Le vieux remonte à la surface des choses. Il demeure un instant déconfit face à la dure réalité, puis son corps commence à trembler. Il est sûr que la cafetière toujours à portée de la main et dont il use jusqu'à une heure tardive n'y est pour rien. Le tremblement nerveux vient de beaucoup plus loin dans le corps et la mémoire.

Le vieux a pourtant vécu deux décennies dans la peau d'un être privilégié. Sa chance était d'avoir choisi le bon camp, le « camp des justes et des infaillibles » comme il dit, durant cette période sanglante qui allait déterminer le destin du pays. La souveraineté nationale acquise, il aurait pu bénéficier, à l'instar de ceux de son camp, d'un confort et de biens qu'il n'aurait jamais osé imaginer : appartement, local de commerce, passe-droits et dérogations renouvelables à périodes fixes. Il avait néanmoins eu un logement et une pension substantielle. Il en avait joui, la conscience nette, sans se poser de questions, même si parfois la nuit un obscur remords le tenaillait : il lui paraissait que ces merveilles ne pouvaient pas être indéfiniment à lui et qu'un jour viendrait ou, par un juste retour des choses, il en serait dépossédé.

Il est vrai que sa situation, comme celle de ses pairs, n'avait pas manqué de faire des envieux que tant d'avantages exaspéraient. Ces trublions oubliaient-ils donc qu'avant d'accéder à tous ces biens les combattants maintenant au repos avaient exposé leur vie, ce bien inestimable, pour la liberté et le confit de tous ? Ils devraient, les insolents, faire étalage de plus de pudeur et de reconnaissance ! Menouar Ziada avait, quant à lui, pris une sage décision : celle d'ignorer les jaloux et de se délecter, dans une quiétude qu'il s'efforçait de rendre parfaite, des fruits de cette corne d'abondance. Jusqu'au jour ou jaillissant des profondeurs de sa mémoire, un souvenir atroce se rapportant à cette période aussi héroïque que brutale se raime en lui comme une douleur assoupie dont on aurait taquiné la racine. L'indicible terreur nocturne qui le réveillait trente ans plus tôt en sueur, tremblant ou le pantalon mouillé, s'insinue à nouveau dans ses os, le maintenant sur le qui-vive. De temps en temps, à l'improviste, une effroyable détonation roule des échos dans sa tête.

لسنوات، ازدرى رسل مورفي العجوز منور زيادة. فغالبا ما يحلم بالاستسلام للنوم وأن يتدحرج على درجات السلم المؤدية إلى العالم السفلي حيث ينحل الوعي. إنها لحالة من الذهول الحسن أين يتخيل نفسه يرتب الشراشف ويتحقق من نعومة الوسائد وكله أذان صاغية إلى تخافت الضوضاء التي تفسد نوما في جنة الفردوس. لكن هذا لا يدوم طويلا. يطفو العجوز على سطح الأشياء يائسا أمام الواقع المرير فيبدأ جسده في الارتجاف، إنه واثق من أن إبريق القهوة الذي كان في قبضته والذي يستخدمه حتى ساعات متأخرة لم يوجد عبثا. يأتي الاضطراب العصبي من مكان أبعد بكثير من الجسد والذاكرة.

مع ذلك، فقد عاش العجوز عقدين من الزمن في هيئة كائن متميز. كان حظه في اختيار المعسكر الصحيح، معسكر" العادلين والمعصومين"، كما يقول خلال هذه الفترة الدموية التي كانت ستحدد مصير البلاد. تقر السيادة الوطنية، كان يمكنه الاستفادة–على غرار زملائه المجاهدين–من الراحة والرفاهية التي لم يكن أبدا ليجرؤ على تخيلها: شقة ومقر تجاري وامتيازات وإعفاءات قابلة للتجديد لفترات محددة، ومع ذلك كان لديه سكن ومنحة مجاهدين محترمة. لقد استمتع بها بضمير مرتاح دون أن يسأل نفسه أي أسئلة حتى لو كان يعذبه ندم غامض من حين لأخر في الليل: إذ كان يبدو له أنه لا يمكنه أن يستأثر بهذه الأعاجيب إلى الأبد وأنه يوما ما سيواجه عقوبة أفعاله بتجريده منها.

صحيح أن حاله –مثل حال أقرانه–جلبت له الكثير من الحساد الذين أثارت سخطهم تلك المزايا التي كانوا يحظون بها ولكن هل نسي مثيرو الشغب هؤلاء أن المجاهدين قبل أن يظفروا بكل هذه الممتلكات قد فدوا الوطن بالروح، ذلك الشيء الذي لا يقدر بثمن، لينعم الجميع بالحرية والراحة؟ كان يجب على الوقحين إظهار المزيد من الحياء والامتنان. في هذه الأثناء، كان منور زيادة قد اتخذ قرارا حكيما بأن يتجاهل الغيورين وأن يستطيب ثمار ذلك القرن في سكينة كان يسعى جاهدا في أن يضفي عليها نوعا من المثالية، حتى اليوم الذي تنبعث فيه ذكرى شنيعة من أعماق ذاكرته تتعلق بتلك الفترة البطولية على وحشيتها، تحيي فيه مثل الألم النائم الذي استثير جذره. يتسلل إلى عظامه من جديد الرعب الليلي الذي كان يوقظه قبل ثلاثين عاما متصببا عرقا، مرتجفا أو مبلل السروال، جاعلا إياه في حالة تأهب. من وقت لآخر، ودون سابق إنذار يسمع صدى انفجار رهيب في رأسه.

L'armée d'occupation venait de prendre possession du village, apportant la crainte et le désarroi dans son équipement belliqueux : armes, machines et instruments inconnus.

Les soldats plantèrent leurs tentes et, dès le lendemain, se mirent à construire un camp de fortune qui les occupa presque une semaine. Puis, leur travail fini, ils rassemblèrent les villageois. Menouar Ziada venait de rentrer son troupeau et s'apprêtait à déjeuner quand tomba l'ordre de rassemblement. IL laissa sa cuiller plantée dans le plat de couscous au lait caillé et sortit précipitamment comme les autres. C'était une journée de printemps. De gros bourdons babillards formaient une escadrille qui piquait sur une fleur puis sur une autre. On se serait laissé étourdir par la somnolence répandue dan Lair, par le parfum des plantes et par une multitude de musiques d'insectes. Mais une peur intense nouait les ventres.

Un militaire qui devait être le chef se mit à parler d'une voix haute, autoritaire, désagréablement enrouée qui dénotait bien, en dépit des mots inconnus, qu'il n'avait aucune considération pour les gens à qui il s'adressait. Les paroles brutales, pleines de morgue et de menaces, pénétraient à la manière de larmes aiguës dans la chair et l'esprit de l'assistance. Le malaise se propageait. Les gens auraient tant donné pour pouvoir s'enfuir et se mettre hors de portée de cet ennemi qui s'abattait sur eux sans crier gare, qui fulminait dans une langue incompréhensible en attendant sans doute de les anéantir. Mais la possibilité de fuir était exclue. Il y avait d'un côté la rangée de soldats, de l'autre un champ qui dévalait et, à quelques mètres de l'assistance, un muret de pierres sèches ou s'adossait une haie d'opuntias. Les villageois étaient pris comme dans une sourcière.

Seul Moh Saïd, le simple d'esprit, gandoura et chéchia crasseuses, tenta de forcer ce cercle cauchemardesque. Il se détacha subitement de la masse des assistants silencieux et s'élança avec un cri terrible pour enjamber le mur de pierres. Mais une rafale l'arrêta à mi-course. Un jeune soldat, tremblant comme une feuille, désarçonné et terrifié par le cri, avait appuyé sur la détente. Et le pauvre idiot avait comme rebondi sur le muret avant de rouler par terre et de se débattre, pareil un veau terrassé qui sent l'approche du couteau. Sa gandoura maculée de sang et de poussière laissait voir à travers une échancrure un viscère volumineux difficile à identifier. Un cri d'horreur avait fusé de l'assistance. Il ne resta bientôt sur la place ni femme ni enfant.

كان جيش الاحتلال قد استولى للتو على القرية، جالبا الخوف والاضطراب في المعدات الحربية: أسلحة و آلات وأدوات غير معروفة.

نصب الجنود خيامهم وفي اليوم الموالي شرعوا في بناء مخيم مؤقت أشغلهم قرابة أسبوع ثم انتهى عملهم، وجمعوا القرويين. كان منور زيادة قد أحضر للتو قطيعه وكان على وشك تناول الغذاء. عندما صدر أمر التجمع ترك ملعقته مغروسة في طبق الكسكس مع اللبن وخرج على عجالة مثل الآخرين. كان يوما ربيعيا، شكل نحل طنان كبير الحجم سربا كان ينقض على زهرة ثم على أخرى. تملكنا نعاس شديد من عبق النباتات المنتشر في الهواء وصوت الحشرات. لكن خوفا شديدا خيم على القلوب.

بدأ الجندي الذي كان من المفترض أن يكون القائد في التحدث بصوت عال واستبدادي وأجش مزعج يشير، على الرغم من الكلمات غير المألوفة، إلى أنه لم يبدي أي اعتبار للأشخاص الذين يخاطبهم. تغلغلت الكلمات الوحشية والمليئة بالغطرسة والتهديدات في جسد وروح الحضور مثل الشفرات الحادة، انتشر الانزعاج. كان الناس سيعطون الكثير ليتمكنوا من الفرار والابتعاد عن هذا العدو الذي كان يحل عليهم دون سابق إنذار والذي كان منفجرا بلغة غير مفهومة بينما ينتظر دون شك القضاء عليهم. لكن إمكانية الفرار كانت مستبعدة. كان على أحد الجانبين صف من الجنود وعلى الآخر كان هناك حقل انزلقت تربته وعلى بعد أمتار قليلة من الحضور كان هناك جدار منخفض من الحجارة الجافة يتكئ عليه سياج من الصبار الشائك، تم القبض على القرويين كأنهم في مصيدة فئران.

وحده موح سعيد البسيط، قشابية وشاشية قذرتين، حاول أن يجتاز هذا الحشد الأشبه بالكابوس. انفصل فجأة عن جمع الحاضرين الصامتين واندفع مطلقا صرخة مدوية ليتخطى الجدار الحجري، لكن وابلا من الرصاص منعه في منتصف الطريق إذ بجندي شاب ترتعد فرائسه قد ضغط على الزناد على إثر الصرخة التي أرعبته وهزته، فارتد الأبله المسكين عن الجدار المنخفض قبل أن يتدحرج على الأرض متخبطا كعجل طريح يستشعر سكين ناحره. كانت قندورته الملطخة بالدماء والغبار تكشف من خلال خرق فيها عن عضو داخلي ذو حجم كبير يتعذر التعرف عليه. إنطلقت صرخة رعب من الحضور وسرعان ما لم يبق في الوسط لا امرأة ولا طفل.

Menouar Ziada se tenait là, tremblant, les yeux exorbités, le cœur coincé dans la gorge, incapable de respirer. Bien qu'il ait dépassé trente ans, c'était la première fois qu'il assistait à une mort violente. La vue d'un cadavre lui était insoutenable. Chaque fois qu'un décès s'était produit au village, Menouar avait trouvé une astuce pour déroger à cette règle qui voulait qu'on allât –geste de piété- voir la mort avant son enterrement. Le pauvre Moh Saïd se contorsionnait par terre comme une bête fraichement égorgée lorsqu'un autre soldat, trouvant sans doute le spectacle insupportable, s'approcha du supplicié et pointa sa mitraillette vers la tête. Deux coups partirent, et le corps fut secoué d'une dernière convulsion. Menouar Ziada se rendit compte que son pantalon était abondamment mouillé et adhérait à l'une de ses jambes.

Il ne peut fermer l'œil de toute la nuit : une fièvre de cheval l'éperonnait. Quelques jours après, il quitta le village à la nuit tombante pour rejoindre les maquisards, les «combattants de la liberté».

Ziada reconnaitra toujours, avec beaucoup d'humilité, en son for intérieur, qu'il avait accompli cet acte non pas par une quelconque conscience patriotique (de tels concepts naitraient surtout une fois la guerre gagnée) mais par la peur irraisonnée que lui inspiraient les militaires. Comme il ne laissait pas d'enfants derrière lui, il avait plus facilement franchi le pas.

De longues années avaient passé, le pays avait enregistré maints bouleversements, des conforts et des besoins nouveaux, de nouvelles manières d'être, de se déplacer, de consommer. Et voici que, trois décennies plus tard, s'anime devant Menouar Ziada le fantôme de Moh Saïd, que sourd du fond de ses entrailles la peur de se laisser surprendre et de recevoir une rafale. Paradoxalement, il se sent plus en sécurité à l'air libre qua labri d'une maison. Il est hanté par le muret de pierres sèches contre lequel avait buté Moh Saïd. Avoir de l'espace pour fuir est un besoin vital. Il pense souvent à sa mère, femme d'une méfiance inimaginable, qui ne laissait jamais rien ouvert chez elle, pas même la fenêtre de sa chambre, et inspectait avant de se mettre au lit les moindres recoins de la maison pour s'assurer qu'aucun cambrioleur ou criminel n'y était dissimulé.

Menouar Ziada n'aurait voulu à aucun prix qu'on le surprit entre quatre murs. Cette contrainte supprimée, il fait confiance à ses jambes, à la souplesse de son corps, à ses ruses de fourvoyer.

وقف منور زيادة هناك، يرتجف، وعيناه منتفتان، تكاد نبضات قلبه تتوقف، غير قادر على التنفس. بالرغم من أنه تجاوز الثلاثين كانت أول مرة يشهد حادثة موت عنيفة. كان مشهد الجثة لا يطاق بالنسبة له. كلما كانت هناك وفاة في القرية وجد منور حيلة للتنصل من هذه القاعدة، إيماءة التقوى، رؤية الموت قبل دفنه. كان موح السعيد المسكين يتلوى على الأرض كأنه حيوان ذُبح لتوه عندما اقترب جندي آخر، وجد دون شك المنظر لا يحتمل، من المعذب ووجه الرشاش نحو رأسه. إنفجرت رصاصتان واهتز الجسد بنوبة تشنج اخيرة. أدرك منور زيادة أن سرواله مبلل تماما وملتصق بإحدى ركبتيه.

لم تغمض له عين طوال الليل، حمى قوية جدا تمكنت من جسمه. بعد بضعة أيام غادر القرية عند حلول الظلام ليلتحق بالمجاهدين، "المناضلين من أجل الحرية".

سيعترف زيادة دائما، بتواضع كبير، في عمق داخله، بأنه قام بهذا العمل ليس من منطلق ضمير وطني (ستنشأ مثل هذه المفاهيم خاصة بعد الانتصار في الحرب) لكن نتيجة الخوف غير العقلاني الذي استوحاه من الجيش. نظرا لأنه لم يترك أولادا خلفه، أخذ زمام المبادرة بسهولة أكبر.

مرت سنوات طويلة، شهدت البلاد العديد من التقلبات ووسائل الراحة واحتياجات جديدة وطرق جديدة للعيش والتنقل والاستهلاك. والآن وبعد مرور ثلاث عقود يعود للحياة شبح موح سعيد أمام منور زيادة، أصم من أعماق أحشائه، خوفا من أن يفاجأ أو أن يتلقى طلقات من الرصاص. ومن ضمن المفارقات أنه يشعر بالأمان في الهواء الطلق أكثر من مأوى منزل، يطارده جدار الأحجار الجافة الذي تعثر فيه موح سعيد. أن يمتلك مساحة للهروب أصبح حاجة حيوية. يفكر غالبا في والدته، امرأة ذات حذر لا يصدق، فهي لا تترك شيئا مفتوحا في منزلها ولا حتى نافذة غرفتها، تتفقد كل ركن من أركان المنزل قبل الذهاب إلى الفراش للتأكد من عدم وجود لص أو مجرم مخفي هناك. لم يكن منور زيادة ليريد بأي ثمن أن يُحاصَر بين أربعة جدران. أزال هذا القيد، فهو كان يثق في ساقيه وفي مرونة جسده وفي حيله للتضليل.

Il s'ingénie à demeurer hors de la maison le plus longtemps possible, à trouver à s'occuper à l'extérieur. Le jour, il se tient devant sa porte, arrête sans façon les passants (c'est vrai qu'il les connait tous plus ou moins) et les garde le maximum de temps par ses bavardages. Ce manège dure jusqu'au crépuscule, lorsque la pénombre rend suspects les abordages et que les gens pressés de rentrer ne se prêtent plus à la discussion. D'ailleurs, au bout d'un moment, il ne passe plus personne. La rue n'est pas très fréquentée. Et le vieux Ziada voit avec angoisse s'avancer l'heure où il devra rentrer chez lui.

Les derniers martinets ont abdiqué devant la progression de la pénombre. Les maisons se profilent encore avec imprécision avant de disparaitre dans la nuit comme des navires qui sombrent. L'un après l'autre s'éteignent les bruits clairs du jour. Relayés par des bruits plus insidieux. Menouar s'attarde encore un peu, écoutant comme une bête à l'affût, une douleur trifouillant dans ses entrailles, les bruits ténus de la nuit, procession de cris étouffés, de glissements stratégiques, d'embuscades microscopiques ou de fuites désordonnées. Un monde semblable à celui des hommes et parallèle à lui est là qui lutte pour sa survie, qui ourdit ses intrigues et montre ses pièges.

Une peur agréable envahit Menouar, la peur obscure des origines, la peur de son enfance campagnarde nourrie d'esprits, de cas de possession. Il la laisse pénétrer en lui ; elle s'insinue dans ses vaisseaux, pareille à une fraicheur bienfaisante. Tout son corps en est illuminé et commence à vibrer comme un insecte amoureux.

Lorsque, ayant retardé au possible le moment de sa claustration, le vieux se voit obligé de monter les marcher qui mènent vers sa chambre, il s'y résigne en rêvant de s'installer un jour dans la principale rue commerçante, celle des Galleries nationales, des magasins de vêtements et du marché aux légumes. Là, il serait sûr de ne jamais manquer d'interlocuteurs.

De l'unique fenêtre de sa chambre, il contemplera, avant de s'allonger sur son lit, la vaste mer nocturne ou la lune navigue comme un vaisseau fantôme, il explorera de ses yeux et de ses narines les champs alentour ou se sont déposés et confondues les odeurs de tant de saisons. Ces sensations prolongeront son insomnie. Le lit ou' Menouar Ziada se retournera sans cesse gémira jusqu'au matin.

يبذل كل ما بوسعه للبقاء خارج المنزل لأطول فترة ممكنة بغية إيجاد شيء يشغله في الخارج، في النهار، يقف أمام بابه يوقف المارة بكل عفوية (صحيح أنه يعرفهم جميعا نوعا ما) ويبقيهم بثرثرته معه لأطول فترة ممكنة. يستمر هذا الحال حتى الغسق عندما يجعل الظلام الاصطدامات مشبوهة والناس الذين هم في عجلة من أمرهم للعودة لم يعودوا مستعدين للحديث. في الواقع، وبعد فترة لا أحد يمر، الشارع ليس مرتادا كثيرا. ويرى العجوز زيادة بقلق الساعة التي يتوجب عليه العودة على منزله فيها.

تبدأ آخر طيور سمامة في الابتعاد قبل بداية حلول الظلام. لاتزال المنازل تلوح في الأفق بشكل غامض قبل أن تختفي في الليل كسفن غارقة. تلاشت ضوضاء النهار الواضحة الواحدة بعد الأخرى وحلت محلها ضوضاء أخبث. ويتأخر منور قليلا، يستمع مثل الوحش المترصد، للألم المفترس في أحشائه ولأصوات الليل الخافتة وللصرخات المكتومة، للتحولات الاستراتيجيات، لكمائن مجهرية أو تسريبات غير منتظمة، هناك عالم مشابه لعالم الرجال وموازٍ له، يحارب من أجل البقاء وينسج مؤامراته وينصب فخاخه.

إمتلك منور خوف طفيف، الخوف المظلم من أصوله، الخوف من طفولته الريفية، هذا الخوف يتملكه دائما. سمح له بالدخول فيه، وتسلل إلى أوعيته ببرودة منعشة. جسده كله مضاء ويهتز مثل حشرة واقعة في الحب.

بعد أن تأخر قدر المستطاع للذهاب إلى سجنه، اضطر الرجل العجوز على صعود أعلى الدرج المؤدي إلى غرفته. يستسلم لها من خلال حلمه بالاستقرار في يوم من الأيام في الشارع التجاري الرئيسي، شارع به المعارض الوطنية، ومحلات الملابس وسوق الخضر. هناك سيكون متأكدا من عدم نفاذ المحاورين أبدا.

من النافذة الوحيدة في غرفته، سوف يتأمل قبل أن يستلقي على سريره، في البحر الليلي الشائع حيث يبحر القمر مثل سفينة الأشباح، سوف يستكشف بعينه وخياشيمه الحقول المحيطة حيث ترسبت روائح العديد من الفصول وامتزجت. هذه الأحاسيس ستطيل أرقه. سوف يئن السرير الذي ينقلب فيه منور زيادة باستمرار حتى الصباح.

Tout en haut, sa femme l'attend. Mais sa femme, évidemment, ne compte pas, en dépit de quarante années de vie commune ou, plutôt, côte à côte. Sans doute avait-elle existé à un moment donné ; mais c'est une très vieille histoire ; une histoire sans importance. De toute manière, maintenant, sa présence ne suscite pas en lui plus d'émotion que la présence d'un tabouret ou d'une valise. Il est convaincu que si, un jour, elle disparaitrait, il ne s'en apercevrait qu'après coup, lorsque viendrait l'heure de manger et que le repas n'aurait pas été servi. Et puis on n'échange avec la femme que les paroles les plus nécessaires et les gestes les plus indispensables. Il ne sait si le fait de n'avoir pas eu d'enfant a contribué à forger cette indifférence entre eux, du moins de sa part à lui, car les sentiments d'une femme importent peu. Aucun homme sensé aurait supporté une femme stérile, et Menouar Ziada ne fait pas l'exception : il n'avait accepté de vivre cette situation qu'à partir du moment où il s'était rendu compte que la malédiction venait de lui. Il s'était même demandé un jour, par simple désir d'argumenter, pourquoi les femmes, elles, ne quittaient pas les hommes stériles. Sans doute parce que, avait-il conclu, les enfants n'étaient jamais perçus comme une descendance de femme, mais seulement d'homme. La femme n'a pas de postérité.

Ils avaient longtemps espéré. Trois ans. Cinq ans. Douze ans même. Une profonde et incompréhensible affection le liait alors à cette femme qui lui avait ouvert son intimité, lui avait révélé la fête, la plénitude du corps et son repos apaisé. C'était une époque où il était convaincu qu'en dépit des apparences les hommes de ce pays accordaient dans leur cœur une très grande place aux femmes et qu'ils préféraient même leurs filles à leurs garçons. Son beau-père leur rendait souvent visite, venant de son village sur un mulet étique chargé de cadeaux et de friandises pour la nouvelle mariée. Lorsqu'il les quittait pour rentrer chez lui, il se répandait, sur ce bout de chemin ou Menouar l'accompagnait, en recommandations et prières. Quand enfin ils se séparaient, le vieux, qui poussait devant lui sa carne indolente dont l'épine dorsale saillait comme une longue arête rocheuse, hurlait une ultime supplique.

-Ya Si Menouar, prends soin de mon oiselle !

Comme l'oiselle a vieilli ! Elle est devenue une poule revêche, murée dans la décrépitude et le silence. Elle n'est plus qu'un meuble vétuste parmi d'autres meubles qui ne tarderont pas à rejoindre le débarras. On ne peut pourtant pas dire que ce soit elle que le vieux Menouar fuit en passant ses journées dehors. Il ne fait en réalité que déserter la maison elle-même, l'étau des quatre murs ou il risque d'être surpris sans possibilité de flairer le vent et de détaler sans regarder derrière lui.

في الأعلى زوجته تنتظره، لكن من الواضح أنها لا تحسب، على الرغم من أربعين عاما من العيش معا أو بالأحرى جنبا إلى جنب. لا شك أنها كانت موجودة في وقت ما لكنها قصة قديمة جدا، قصة لا أهمية لها. على أية حال فإن وجودها الآن لا يثير فيه عاطفة أكثر من وجود كرسي أو حقيبة سفر. إنه مقتنع بأنه إذا اختفت يوما ما فلن يلاحظها إلا بعد واقعة ما، عندما يحين وقت تناول الطعام ولم يتم تقديم الوجبة. ثم انه يتم تبادل الكلمات الأكثر ضرورة والإيماءات التي لا غنى عنها فقط مع المرأة، لا يعرف ما إذا كانت حقيقة عدم إنجاب طفل ساهمت في خلق هذه اللامبالاة بينهما، على الأقل من جانبه، لأن مشاعر المرأة لا تهم. ما كان لرجل عاقل أن يتحمل امرأة عقيمة. ومنور زيادة ليس استثناء، لقد وافق على عيش هذا الوضع فقط منذ اللحظة التي أدرك فيها ان اللعنة جاءت منه. حتى أنه تساءل ذات يوم، من منطلق رغبة بسيطة في الجدال، لماذا لا تترك النساء الرجال العقيمين؟ دون شك لأنه كان قد توصل جازما إلى أن الأطفال لم يكن ينظر إليهم قط على انهم منحدرين من المرأة بل من الرجل فقط، اما المرأة فلا ينسب لها الأولاد.

كانا يأملان منذ فترة طويلة، ثلاث سنوات، خمس سنوات، اثني عشر عاما حتى. كانت هناك عاطفة عميقة ومبهمة تربطه بتلك المرأة التي فتحت له خصوصيتها، كشفت له عن متعة جديدة، وازدهار الجسد والراحة الهادئة. لقد كان وقتا كان فيه مقتنعا بأنه بالرغم من المظاهر فإن رجال هذا البلد أعطوا مكانة كبيرة في قلوبهم للنساء وأنهم يفضلون بناتهم على أولادهم. غالبا ما كان والد زوجته يزورهما قادما من قريته على بغل أعجف محمل بالهدايا والحلويات للعروس الجديدة. عندما كان يتركهما كي يعود إلى منزله، كان يتوارى على ذلك الطرف من الطريق حيث رافقه منور في توصيات ودعوات. أخيرا عندما كانا يفترقان، كان العجوز الذي يسوق جواده البليد ذا العمود الفقري البارز مثل سلسلة من التلال الصخرية، ينادي نداء أخيرا:

– يا سي منور اعتني بغزالتي.

مع تقدم الغزالة في السن أصبحت كالدجاجة العابسة والمحاطة بجدار من العجز والصمت. إنها ليست أكثر من قطعة أثاث بالية من بين قطع أثاث أخرى ستنضم قريبا إلى غرفة التخزين. ومع ذلك لا يمكن القول أنها هي التي يهرب منها العجوز منور لقضاء تلك الأيام في الخارج، في الواقع هو يهجر المنزل نفسه، تلك الجدران الأربعة التي تضيق عليه الخناق و التي قد يُعثَر عليه بينها فجأة دون أن تتاح له فرصة لشم الهواء أو للهروب دون أن يلتفت خلفه.

L’espace illimité et tutélaire, Menouar l’avait connu dans sa jeunesse à mener paitre ses chèvres, ses moutons et ses ânes. La seule barrière à son regard était une montagne pelée et ocre qu’il mettait une demi-journée à atteindre. L’indépendance recouvrée du pays ainsi que son statut de combattant libérateur, qui lui ont permis de s’installer aux abords de la capitale convoitée, l’ont du même coup arraché à ses pacages et aux odeurs champêtres de son enfance. Une fois dissipés la fierté habiter à proximité du pouvoir, l’émmerveilleusement devant le carrelage, l’électricité et l’eau courante, il se sentit comme une fauve en cage, comme une plante coincée dans le béton. Il se mit à éprouver un besoin douloureux de buissons, la nostalgie de voir grandir les poussins et les agneaux, de humer les odeurs fortes de l’étable, des brebis qui ont mis bas, des boucs au poil mouillé et fumant. Il rêvait aussi d’un feu de bois, de la terre profonde et moite ou macéraient les feuilles mortes. Il parlait beaucoup de la compagne ; il y allait même parfois. Mais les visites ne lui suffisaient pas, il aurait aimé y reprendre racine, s’y enfoncer jusqu’à la taille, sentir monter en lui la rumeur des insectes et des germinations, les frémissements des bêtes tapies qui attendent de bondir sur la proie ou de détaler devant le prédateur. Le tenaillaient parfois des souvenirs précis, de petites choses merveilleuses semblables à des édens microscopiques enclos dans les alvéoles de la mémoire : les nids des perdrix dans les fourrés, le murmure du vent dans les roseaux ; les remous de la rivière en crue, les feux de débroussaillement, les anfractuosités des roches ou s’attardait l’eau des pluies, les brebis mâchonnant paresseusement à l’ombre d’un vieil olivier. Menouar avait une forte nostalgie de quelques arbres particuliers : le figuier, le frêne, le néflier. Il éprouvait parfois le désir, poussé jusqu’à l’obsession, d’écraser entre ses doigts des feuilles d’oranger ou de citronnier pour en libérer le parfum.

Menouar s’était surpris un jour à penser que s’il avait à choisir entre le paradis et la possibilité de vivre une deuxième fois son enfance, il opterait sans hésitation pour la seconde solution. A toutes les délices promises outre-tombe, il aurait préféré conduire son troupeau, dans la quiétude vespérale, respirer avec ses narines avides et palpitantes l’odeur des genêts et des romarins, sauter de rocher en rocher comme un abri.

مساحة غير محدودة ومحمية، عرفها منور في شبابه ليرعى معزه وخرفانه وحميره، كان الحاجز الوحيد الذي يحجب نظره هو ذلك الجبل الأجرد، باهت اللون الذي استغرق نصف يوم للوصول إليه. استعادة البلد لاستقلاله ومكانته كمحارب محرر، اللذان مكناه من الاستقرار في ضواحي العاصمة المرغوبة، وفي نفس الوقت انتزعا منه المراعي وروائح الحقول في طفولته. بمجرد أن يتبدد فخر العيش بالقرب من السلطة، والذهول أمام البلاط والكهرباء والمياه الجارية، يشعر كأنه حيوان في قفص، مثل نبات عالق في الخرسانة، يبدأ بالشعور بالحاجة المؤلمة للشجيرات والحنين لرؤية الصيصان والحملان تكبر، لاستنشاق الروائح القوية للإسطبل والنعاج التي ولدت والمعز ذات الشعر الرطب والدخان. وكان يحلم أيضا بنار حطب وبأرض عميقة رطبة تعلق فيها أوراق الشجر الميتة. كان يتحدث كثيرا عن الريف حتى أنه كان يذهب إلى هناك أحيانا، لكن الزيارات لم تكن كافية فقد كان يود أن يتجذر هناك مرة أخرى، ويغرق حتى وسطه، ويشعر بصوت الحشرات والإنباتات تتصاعد بداخله، وارتجاف الوحوش المتربصة التي تنتظر الانقضاض على الفريسة أو الهروب أمام المفترس. في بعض الأحيان كانت ذكرياته الدقيقة تعذبه، أشياء صغيرة رائعة مثل الجنة المجهرية المغلقة في خلايا الذاكرة: أعشاش الحجل في الغابة، ونفخة الريح في القصب، ودوامات النهر في فيضان، حرائق الأعشاب الضارة وشقوق الصخور حيث بقيت مياه الأمطار، النعاج تمضغ بتكاسل في ظل شجرة زيتون قديمة. لقد كان لدى منور حنين قوي لبعض الأشجار المعينة: شجرة التين وشجرة الدردار وشجرة المشملة. وأحيانا كان يشعر برغبة إلى حد الهوس في سحق أوراق البرتقال أو الليمون بين أصابعه لإطلاق العطر.

ذات يوم، فُوجئ منور أنه إذا كان عليه الاختيار بين الجنة وإمكانية عيش طفولته مرة أخرى، فبدون تردد كان سيختار الحل الثاني. رغم كل الملذات الموعودة بعد القبر كان يفضل أن يقود قطيعه، في هدوء المساء، ويستنشق بخياشيمه المشتاقة والنابضة لرائحة نباتات الوزّال وإكليل الجبل، وأن يقفز من صخرة إلى صخرة أخرى مثل صغير المعز.

Lui qui espérait enfin se reposer et éprouver, dans le paradis des commodités urbaines, ce bonheur providentiel auquel rien ne le prédisposait, il ne réussit jamais à se sentir chez lui et à s'enraciner dans ce terreau inhospitalier. A défaut d'y pouvoir s'enfoncer avec la lourdeur et la confiance d'un olivier, il s'était contenté de s'y incruster avec la fragilité du lichen. Ses racines inexpugnables, son feuillage sensible et bruissant, la solidarité de ses branches étaient toujours tendus vers le village, vers la région natale. Il suivait avec intérêt tout ce qui s'y déroulait, cotisait pour la construction d'une mosquée ou l'aménagement d'une route, était au courant des mariages et des décès, des conflits de familles. Mais ce qui se passait sous son nez, dépassé le seuil de sa maison, le laissait indifférent. Il aurait été bien étonné si on l'avait un jour sollicité pour participer à une quelconque besogne communautaire dans ce quartier où il vivait pourtant depuis vingt-trois ans.

Un après- midi, en passant non loin du dépotoir situé du côté des Galeries nationales, Messaoud Mezayer y remarque deux chaises et une commode qui peuvent encore servir. Sidi-Mabrouk est une banlieue prospère dont les nombreux bâtiments, greffés sur le pourtour de l'ancien centre urbain, ont accueilli surtout des cadres et des gens aisés. Cela procure à Messaoud Mezayer une clientèle qui ne regarde pas à la dépense ainsi que d'autres avantages imprévisibles : nombreux ustensiles jetés avant leur usure totale et facilement récupérables, stylos et crayons semés un peu partout par des écoliers de familles aisées pour le bonheur de la progéniture de Messaoud Mezayer qui garnit ainsi ses cartables à peu de frais. N'osant pas s'exposer aux moqueries et risquer de se déshonorer en trimballant en plein jour le précieux butin repéré au dépotoir, Messaoud Mezayer a pris le parti, après avoir supputé les risques d'être devancé par un autre amateur de vieilleries, d'attendre la tombée de la nuit pour agir.

Il se glisse hors de chez lui aussitôt après les informations télévisées de vingt heures. La nuit s'installe tôt en ce début de printemps. Messaoud regarde attentivement et n'aperçoit personne sur la route rectiligne qui conduit à la décharge. Il voit déjà nettement l'endroit que les meubles nettoyés et réparés vont occuper dans sa maison rendue semblable à un bazar par la juxtaposition d'objets hétéroclites que la frénésie de récupération du propriétaire y a accumulés. Mais il tremble en même temps à la pensée que quelqu'un l'a peut-être précédé. Il en est à ces supputations et se presse pour en avoir le cœur net lorsqu'une voix sourde le hèle:

هو الذي كان يأمل أخيرا أن يستريح ويجرب، في جنة الراحة الحضرية، هذه السعادة الإلهية التي لم يكن هناك ما يهيئ لها، لم يستطع أبدا أن يشعر بأنه في منزله وأن يتجذر في هذه الأرض غير المضيافة. ولأنه لم يكن قادرا على الانغماس فيها بثقل وثقة شجرة زيتون، فقد اكتفى بتغطية نفسه هناك بهشاشة الأشنة. كانت جذوره المنيعة وأوراقه الحساسة بحفيفها وفروعه تتضامن سويا لتمتد نحو القرية باتجاه المنطقة الاصلية. كان يتابع باهتمام كل ما كان يحدث هناك، وكان يساهم في بناء مسجد تهيئة طريق، وكان على علم بالزيجات والوفيات والصراعات العائلية. ولكن ما كان يحدث أمامه ويتجاوز عتبة منزله كان يتركه غير مبال. كان سيتفاجأ كثيرا إذا طُلبت منه يوما ما المشاركة في أي عمل مجتمعي في هذا الحي الذي عاش في لمدة ثلاثة وعشرين عاما.

بعد ظهر أحد الأيام، أثناء مروره بالقرب من مكب النفايات الواقع على جانب المعارض الوطنية، لاحظ مسعود مزير كرسيين وخزانة ذات أدراج لا يزالان صالحين للاستعمال. سيدي مبروك هي ضاحية مزدهرة استقبلت مبانيها العديدة، المطعمة على محيط المركز الحضري القديم، بشكل أساسي المديرين التنفيذيين والأثرياء. يوفر هذا لمسعود مزير زبائنا لا يهتمون بالمصاريف بالإضافة إلى مزايا أخرى غير متوقعة: يتم التخلص من العديد من الأواني قبل أن تتآكل تمامًا ويمكن استردادها بسهولة، أقلام وأقلام الرصاص مبعثرة في كل مكان من قبل تلاميذ العائلات الثرية من أجل سعادة ذرية مسعود مزير الذي يملأ حقائبه المدرسية بتكلفة قليلة. لم يجرؤ مسعود مزير على تعريض نفسه للسخرية والمخاطرة بإهانة نفسه بالتجول في وضح النهار حول المسروقات الثمينة التي تم رصدها في المكب، فقد انحاز مسعود مزير، بعد أن حسب مخاطر أن يسبقه أحد هواة الأشياء القديمة، وانتظر حتى حلول الظلام لكي يتصرف.

يخرج من منزله مباشرة بعد نشرة الثامنة للأخبار التلفزيونية. يخيم الظلام باكرا في مطلع هذا الربيع. ينظر مسعود بانتباه ولا يرى أحدا على الطريق المستقيم المؤدي إلى المكب، إنه يرى بوضوح المكان الذي سيشغله الأثاث الذي تم تنظيفه وتصليحه في منزله والذي أصبح يشبه البازار بسبب تراكم أشياء متنوعة تكدست بسبب هاجس لدى مالكها في استردادها. لكنه في الوقت نفسه يرتجف من فكرة أن شخصا ما ربما سبقه. كان في خضم هذه التكهنات ويحاول الوصول إلى عمقها عندما هتف به صوت أقرب إلى الهمس:

- Bonsoir, « pays », tu reviens de la mosquée ?

Menouar Ziada se profile tel un épouvantail après s'être détaché d'un mur avec lequel il se confondait. Il a poussé ses déambulations d'insomniaque assez loin de chez lui. Fortement contrarié par cette apparition inattendue, Messaoud Mezayer doit néanmoins faire contre mauvaise fortune bon cœur et engager la conversation.

- Je voulais juste prendre l'air. Le printemps s'annonce chaud, cette année.

Il se prend à hâter le pas, talonné par Menouar Ziada qui souffle un peu derrière lui pour suivre le rythme de sa marche. Messaoud Mezayer s'inquiète pour ses meubles ; il les voit déserter en catimini la place qu'il leur a assignée dans l'appartement capharnaüm. Il a envie de courir pour semer son persécuteur. Ce dernier tient bon, souffle toujours et se racle continûment la gorge comme s'il y enfouissait un secret d'importance qu'il ne se décide pas à livrer. Il se retrouve tout à coup sous le halo puissant de la lune, et son ombre se profile, gigantesque, filiforme et courbée, la tête couronnant le cou frêle comme si elle était fichée sur un pieu.

« Pays », finit par articuler Menouar d'une voix éteinte (signe de fatigue ou d'émotions?), je ne crois pas être dans l'erreur en te disant que quelque évènement sournois menace notre cité.

Messaoud Mezayer, cette fois, manque oublier ses meubles et prête une oreille attentive: peut-être y aura-t-il dans cet « évènement » quelque chose à gagner ou à perdre ?

- Est-ce que ta découverte est trop secrète pour que j'en apprenne le contenu ?

Menouar Ziada, comprenant son importance et l'ascendant qu'il exerce sur Messaoud, s'arrête lui aussi, et marque une longue pause avant de reprendre :

- J'ai mûrement réfléchi avant d'en parler. Je crois qu'une menace plane sur nous, qu'il faut déjouer au plus vite. Le pays a encore besoin de nous, de notre diligence. Nous l'avons libéré des chaînes de l'occupant, il nous revient de veiller à sa tranquillité même si nous avons aujourd'hui, vieux combattants oubliés, rangé nos armes et laissé la place à d'autres.

Cela fait longtemps que Menouar Ziada n'a pas ainsi exhumé son passé de combattant devant Messaoud Mezayer. Celui-ci en est tout émoustillé, en dépit d'une certaine inquiétude. Il sent passer sur lui comme un souffle d'aventure. Il demande, frétillant, mais gagné par la crispation :

- Mais de quoi s'agit-il donc ?

- مساء الخير " البلاد" هل رجعت من المسجد؟

يظهر منور زيادة مثل فزاعة بعد انفصاله عن الجدار الذي اندمج معه. لقد ألقى بشروده بعيدا، جدّ منزعج من هذا الظهور غير المتوقع، يجب على مسعود مزير مع ذلك المواجهة والخوض في الحوار والمحادثة.

- أردت فقط الحصول على بعض الهواء. سيكون الربيع ساخنا هذا العام.

يبدأ في تسريع خطواته، يتبعه منور زيادة الذي ينفخ خلفه قليلا ليتبع وتيرة مشيته، يشعر مسعود مزير بالقلق على أثاثه، يراهم يهجرون خلسة المكان الذي خصص لهم في الشقة الفوضوية، يريد أن يركض للتخلص من مطارده. وهذا الأخير يبدو متمسكا، يتنفس دائما، ويحك حلقه باستمرار كأنما يخفي سرا دفينا مهما لم يقرر أن يفشيه. فجأة يجد نفسه تحت هالة القمر القوية، وبدأ ظله يظهر في الأفق، عملاقا، رفيعا ومنحنيا، الرأس يتوج الرقبة الضعيفة كما لو أنها كانت عالقة على وتد.

"البلاد" ينتهي الأمر بتكلم منور بصوت خافت (علامة التعب أو الانفعال)، لا أعتقد أني مخطئ في إخبارك أن حدثا مزعجا يهدد حينا.

مسعود مزير، هذه المرة، كاد ينسى أثاثه واستمع بانتباه: ربما يكون في هذا "الحدث" هناك شيء للربح أو للخسارة؟

- هل اكتشافك سري للغاية كي أعرفه؟

منور زيادة مدركا أهميته، والتأثير الذي يمارسه على مسعود، يتوقف هو أيضا، وأخذ استراحة طويلة قبل أن يواصل:

- لقد فكرت مليا قبل الحديث عن هذا، أعتقد بأن هناك تهديد يخيم علينا، يجب إحباطه في أسرع وقت ممكن. البلد لايزال بحاجة إلينا، لاجتهادنا، لقد حررناه من أغلال المحتل، من واجبنا نحن المقاتلون القدامى المنسيون السهر على سلامته حتى وإن كنا اليوم قد سلمنا الأسلحة وتركنا مكاننا لغيرنا، طاب جنانا.

لقد مر وقت طويل منذ أن قام منور زيادة بنبش ماضيه كمقاتل أمام مسعود مزير. على الرغم من بعض القلق فإن هذا الأمر مبهج، إنه يشعر أن روح المغامرة تدب في نفسه. يسأل، يتلوى، لكن الإثارة تسيطر عليه.

- ما ذلك إذن؟

Menouar Ziada se rengorge dans une attitude de vainqueur discret et laconique :

- Il ne faut surtout pas qu'ils croient pouvoir se débarrasser de nous parce que nos cheveux ont blanchi.

Maintenant l'exaspération l'emporte sur la curiosité chez Messaoud Mezayer. Boudeur, il prend le parti de ne plus rien dire, mais ne presse pas le pas pour autant, de peur de ne pas profiter de la précieuse révélation.

Son compagnon sent qu'il ne peut plus le faire attendre. Il s'approche très près de lui, lui souffle par saccades au visage, en même temps que son haleine douteuse, ces informations primordiales :

- Tu vois le logement délaissé attenant à la menuiserie industrielle ? Oui, le pavillon de Rabah Talbi qui suscite, comme tu le sais, même si son propriétaire est toujours vivant, la convoitise de nombreux fonctionnaires et commerçants. Eh bien, figure-toi que l'endroit est occupé par de dangereux intrigants depuis maintenant une bonne semaine ! La lumière y reste allumée presque toute la nuit et, au matin, tout rentre dans le silence et le secret. J'ai fait le guet des heures entières pour découvrir les inquiétants locataires. La maison est sans doute investie par des professionnels de la subversion qui savent dissimuler non seulement leurs plans mais aussi leur personne. Il faut s'attendre bientôt à quelque coup dur dans notre ville. Je compte sur ta discrétion : tu es la première et seule personne à qui je révèle tout cela.

منور زيادة يتكلم بتفاخر الفائز بسرية وإيجاز.

- يجب ألا يعتقدوا أنهم يستطيعون التخلص منا لأن الرأس اشتعل شيْبا.

الآن يكتسح السخط على الفضول عند مسعود مزير. عابس الوجه، قرر ألا يقول أي شيء آخر، لكنه لا يستعجل الخطى خوفا من عدم الاستفادة من الاكتشاف الثمين.

يشعر رفيقه أنه لم يعد قادر على جعله ينتظر أكثر، يقترب منه كثيرا، ينفخ في وجهه بارتجاج في نفس الوقت مع أنفاسه المشكوك فيها، هذه المعلومات الأساسية:

- هل ترى المسكن المهجور المجاور للنجارة الصناعية؟ نعم، جناح رابح طالبي الذي يثير كما تعلم جشع العديد من المسؤولين والتجار حتى ولو كان صاحبه على قيد الحياة. حسنا، تصور أن المكان مشغول بمتآمرين خطرين منذ أسبوع من الآن. يبقى الضوء منيرا طوال الليل تقريبا، وفي الصباح يعود كل شيء في صمت وسرية. ظللت أراقب لساعات لاكتشاف المستأجرين المزعجين. لا شك في أن المنزل استولى عليه محترفون في التخريب لا يعرفون كيف يخفون خططهم فقط بل شخصهم أيضا. يجب أن نتوقع ضربة قاسية قريبا في مدينتنا، أعتمد على سريتك، أنت الشخص الأول والوحيد الذي أكشف له كل هذا.

7. تطبيق الاستراتيجيات على النماذج المختارة

من خلال ترجمتنا لرواية **Les vigiles** للأديب الجزائري **الطاهر جاووت**، ونظرا لاختلاف الجمهور المستهدف من طرف كاتب النسخة الأصلية عن الجمهور المستهدف من طرف المترجم(نحن) حيث نترجم للجمهور الجزائري على الخصوص، لان النسخة الجزائرية لم تكن موجهة للجمهور العريض الذي لا يتقن اللغة الفرنسية وعلى ضوء استراتيجيات الترجمة التي وضعتها "ماريان ليديرير" التي تطرقنا إليها سابقا والتي تهدف إلى تسهيل عملية ترجمة العناصر المرتبطة بالمدلول الثقافي، خصصنا في الفصل التطبيقي من دراستنا جزءً لدراسة بعض النماذج التي تتأرجح بين التبديل والتكييف والتصريح والترجمة المتمركزة عرقيّا، لكن قبلها أردنا أن نبرر اختيارنا في ترجمة عنوان مدونتنا.

- **ترجمة العنوان**

نستهل عملية التحليل بترجمة عنوان مدونتنا «Les vigiles»، حيث اخترنا كلمة **العَسَس** لترجمة **les vigiles**، و**العسس** في اللغة العربية بفتح العين والسين من "عسّ" فهو "عاسّ" وجمعه **عَسَسٌ** وهم جند كانوا يطوفون في الليل يحرسون ويكشفون عن أهل الريبة[1]، فنقول: "انتشر **العسس** في الأحياء" ونقصد من يطوفون بالليل يحرسون البيوت لحفاظ أمن وسلامة الناس. واخترنا هذه الكلمة لترجمة عنوان الرواية قيد الدراسة لما تحمله من بعد ديني الذي يعتبر أحد أهم أعمدة هويتنا كجزائريين مسلمين، حيث عرف المسلمون منذ عصر النبوة نظام **العسس** بمعنى الحراسة وترقب العدو، حيث كانت وظيفة **العسس** لازمة لحماية أرواح المسلمين في وقت كانت المعارك بينهم وبين المشركين في الجزيرة العربية لا تهدأ، وفضلنا أن نقول **العسس** ولم نقل "الحراس" رغم أن الثانية أيضا تعبر في ظاهرها عن نفس الوظيفة، إلا أن الأولى مرتبطة أكثر بظلام الليل وما يحجبه من ممارسات وتجاوزات، هذا الظلام الذي تدور فيه أغلب أحداث روايتنا « Les vigiles » للكاتب "الطاهر جاووت".

[1] مروان عطية: كتاب معجم المعاني الجامع الإلكتروني، 11-11-2022.

وارتأينا أن نقسم تحليلنا هذا إلى أربعة أصناف كل منها يشير إلى استراتيجية من استراتيجيات "ماريان ليديرير" في ترجمة الأبعاد الثقافية:

1.7. التبديل

إخترنا أن نبدأ باستراتيجية التبديل التي اعتمدناها في النماذج الأربعة التالية:

- **النموذج الأول**

« Seul Moh Saïd, le simple d'esprit, **gandoura** et chéchia crasseuses, tenta de forcer ce cercle cauchemardesque. » P12

في هذا المثال، كان "الطاهر جاووت " بصدد وصف شخصية "محمد السعيد" أو كما يحلو له تسميته "موح السعيد"، الظاهر أنه شخص بسيط بحكم ملابسه، حيث استعمل كلمة **gandoura**، وعادة ما تستعمل هذه الكلمة عندما يكون الشخص داخل المنزل أو المسجد لأداء فريضة الصلاة كما أن هذه اللفظة تستعمل أيضا للدلالة على لباس المرأة الجزائرية، وفي حالتنا هذه فضلنا إبدال كلمة **gandoura** بكلمة **قشابية** وهي لباس من بلاد المغرب العربي على شكل جلباب إلا أنها أقصر منه، تُنسَج عادة من الصوف، لها غطاء للرأس يوضع عند الحاجة، وهي اللباس الرجالي الذي له مكانة كبيرة عند الجزائريين، ففضلنا استعمال هذه الكلمة لتتماشى وثقافة اللباس عند المجتمع الجزائري من جهة وللتعريف بموروثنا الثقافي في مجال الملبس، مستعملين استراتيجية التبديل التي جاءت بها "ماريان ليديرير".

فاللباس التقليدي من أهم العناصر الثقافية التي يمكن أن نصادفها أثناء قيامنا بعملية ترجمة النصوص الأدبية حيث أن كل بلاد من بلدان العالم تتمسك بعاداتها وتقاليدها التي يعتبر اللباس جزء لا يتجزأ منها.

- **النموذج الثاني:**

« Mais ce genre de diners _qui ne sont illuminés, étirés, humanisés et dévoyés par **le vin** généreux et rayonnant_ ne se prolongent pas longtemps. » P196

في هذا المثال حاولنا التمسك بعادات وتقاليد المجتمعات العربية المسلمة في غالبيتها من خلال ترجمة كلمة **vin** بكلمة **عصير** عوض "النبيذ" التي هي الترجمة الحرفية والمعقولة والتي تدل على مشروب كحولي يتم إنتاجه بتخمير العنب، وعلى الرغم من أنه يمكن إنتاج النبيذ بتخمير الفواكه الأخرى، إلا ان أشهر أنواعه تكون من العنب، والمشروبات الكحولية محرمة في الإسلام فاحتراما لديننا الحنيف وتقاليد المجتمعات العربية وحتى المسيحية منها التي تتعايش داخل المجتمعات المسلمة، في هذا النموذج حاولنا الرجوع لاستراتيجية التبديل التي جاءت بها "ماريان ليديرير" من منطلق أن النسخة المترجمة لا يجب أن تفرض عادات وتقاليد وقيم دينية على الجمهور المستهدف عن طريق الترجمة، وعوضنا كلمة "نبيذ" بكلمة **عصير** على سبيل التبديل.

- **النموذج الثالث:**

« Menouar marchait en tête, sans un regard en arrière pour ses compagnons. Il planait, **assis sur un nuage capricieux**. » P179

في هذا الجزء من الرواية كان الأديب "الطاهر جاووت" بصدد وصف "منور زيادة" كيف كان يقضي أغلب وقته في السوق الشعبي، وردت تلك الجملة **assis sur un nuage capricieux** وهو يصف الحالة التي كان يجلس عليها منور وكله عزم على الظهور في أبهى حلة أمام الرجال والشيوخ، ومن أجل ترجمة تلك الجملة نقترح الرجوع لموروثنا الثقافي العربي، حيث نصف هذا الموضع ونقول **كأنه سلطان زمانه**، يعني أن "منور" كان يرى نفسه مثل السلطان، ونكون بذلك قد استخدمنا استراتيجية التبديل.

- **النموذج الرابع**

« Il laissa sa cuiller plantée dans le plat de coucous au **lait caillé** et sortit précipitamment comme les autres. » P11

اخترنا لفظة "اللبن" كترجمة لـ «Le lait caillé» في هذا الجزء من الرواية الذي كان فيه الكاتب "الطاهر جاووت" يتحدث عن حالة "منور زيادة" حين خرج على عجالة عندما وقع أمر تجمع القرويين، حيث كان على وشك تناول وجبة الغذاء، فهنا توقف الكاتب قليلا عند مائدة غذاء "منور" كي يصف نوع الطعام الذي كان سيتناوله وهو طبق الكسكس مع **اللبن** اللذان يعتبران رمزين من الرموز الثقافية في مأكل المجتمع الجزائري، و **اللبن** هو أحد مشتقات الحليب الناتجة عن ترويبه وهناك نوعان من المنتجات الرئيسية المعروفة باسم **لبن:** ففي شمال المشرق العربي نقول "زبادي" وفي شبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا (المغرب العربي) نقول "زبدة الحليب"، وقد عرفت ممارسة تعكير الحليب منذ العصور القديمة وتمارسها العديد من الثقافات، وتستخدم في جميع أنحاء العالم العربي (الشرق الأوسط وشمال أفريقيا)[1] و من عادة المجتمعات العربية أن تقوم باستقبال الضيوف أو تكريم الزوار عن طريق تقديم "**اللبن**"، ومن هنا بدلنا جزء من الكلام بجزء آخر، فالمقابل في اللغة العربية هو "الحليب الخاثر" لكن تفادينا استعمال هذا المصطلح لأن الحليب الخاثر لا يعني أكثر من ذلك، عكس اللبن الذي يعكس ثقافة المأكل وتقاليد الشعب الجزائري خاصة والمجتمعات العربية عامة ، كل هذا على سبيل التبديل.

2.7. التكييف

إرتأينا أيضا أن نذكر أربعة نماذج من هذه الاستراتيجية وهي كالآتي:

- **النموذج الأول**

« Tout avait commencé **au bar Le Scarabée** par un concours de circonstances aussi heureuses que fortuites. » P28

في هذا الجزء من الرواية وخلال سرد بعض أحداث القصة، استعمل "الطاهر جاووت" مصطلحا يرمز لبعض المحلات التي كانت تتواجد بكثرة في الجزائر في ذلك الحين "الحانات" وهي مكان مخصص لبيع

[1] مروان عطية: مرجع سابق، 11-11-2022.

وشرب المشروبات الكحولية وتتوفر بعض أنواع الخمور، استعملها الروائي " الطاهر جاووت" لأن جمهوره المستهدف هم بعض الجزائريين الذين يتكلمون الفرنسية وكذلك الأجانب الذين كانوا يعيشون في الجزائر، فلم يجد حرجا في استعمال كلمة "حانة"، في حين أنه من المؤكد حين نترجم هذه الرواية إلى اللغة العربية أن الجمهور المستهدف مغاير تماما من حيث الثقافة كما اللغة، فنحن نستهدف جمهورا جزائريا يمكن اعتباره محافظا، فحري بالمترجم أن يكون ذكيا ولا يتسبب في تجاوز الخطوط الحمراء في ثقافة الجمهور المستهدف، ومن هنا اقترحنا ترجمة كلمة **bar** ب "**مقهى**" كي لا نخدش حياء قارئ الرواية المترجمة إلى اللغة العربية وكي لا نخوض في الأمور التي يعدّها القراء الجدد في اللغة الهدف من المحظورات والطابوهات، معتمدين في هذا على استراتيجية التكييف التي جاءت بها "ماريان ليديرير".

- **النموذج الثاني**

«-Il ne faut surtout pas qu'ils croient pouvoir se débarrasser de nous parce que **nos cheveux ont blanchi**. » P23

اعتمدنا في ترجمتنا لعبارة «**nos cheveux ont blanchi**» على ثقافتنا العربية الإسلامية، ففضلنا ترجمتها بـ "**اشتعل الرأس شيبا**"، حيث أن أصدق وأدق مرجع يمكننا الرجوع له والاستعانة به هو كلام الله عز وجل، القرآن الكريم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله (قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا)[1] حين خاطب سيدنا زكريا الله عز وجل ودعاه كي يهبه ولدا واستجاب ربنا الكريم لدعائه وبشره بسيدنا يحيى ، فتعجب سيدنا زكريا من استجابة الله الذي لا يعجزه شيء وقدرته أن يهبه ولدا رغم استحالة الأسباب حيث كانت زوجته عاقرا وكان هو كبيرا في السن حتى أن شعره صار أبيضا فقال: "**اشتعل الرأس شيبا**" وهذه العبارة تفسير للانتشار الكبير لهذا اللون الأبيض في شعره، حيث تم تشبيه اللون الأبيض بالنار التي تشتعل في الحطب فتلتهمه كله، وفي مثالنا هذا يطغى اللون الأبيض على الشعر كله، كل هذا كناية كما ذكرنا عن الكبر والعجز وإن عدنا

[1] سورة مريم، الآية4.

إلى مدونتنا فهذا هو حال "مسعود مزير" و"منور زيادة" وهما يتحدثان عن مكانتهما في المجتمع الجزائري التي يجب الحفاظ عليها كونهما من مجاهدي جيش التحرير الوطني.

ارتأينا استعمال استراتيجية التكييف والاقتباس من أحد كنوز البلاغة القرآنية منقطعة النظير آخذين بعين الاعتبار قدسية القرآن الكريم الذي يعتبر ركيزة الدين الأساسية عند أفراد المجتمعات العربية على العموم والمجتمع الجزائري على الخصوص، فقمنا بتكييف تلك العبارة بما يسهل على القراء باللغة العربية فهمه واستيعابه.

- **النموذج الثالث**

« La souveraineté nationale acquise, il aurait pu bénéficier, à l'instar **de ceux de son camp**, d'un confort et de biens qu'il n'aurait jamais osé imaginer. » P10

في هذا المثال، يتحدث الكاتب "الطاهر جاووت" عن حياة الرفاهية التي كان "منور زيادة" قادرا على العيش فيها على غرار "زملائه في المعسكر" هذا إن قمنا بترجمة «**ceux de son camp**» كما وردت، لكننا فضلنا قول "**زملائه المجاهدين**" لأن لفظة "المجاهدين" مفردها "مجاهد" من "جاهد"، "يجاهد"، "مجاهدة" أو "جهادا" والجهاد هو النضال والقتال في سبيل الله أو في سبيل قضية مقدسة، وعموما فحين نتطرق للثورة التحريرية ولبطولات الأشاوس الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل استرجاع السيادة الوطنية، نستعمل مصطلح "المجاهد" نظرا لقدسية القضية الجزائرية في قلوب الجزائريين على اختلاف أعمارهم، هذه القضية التي تناقلت الأجيال أدق تفاصيلها جيلا بعد جيل وما زادهم ذلك إلا فخرا لانتسابهم إلى أسلافهم الشجعان الذين فضلوا أن تسيل دماءهم بالأمس كي ننعم نحن بحريتنا اليوم، قدسية القضية الجزائرية التي امتزجت بارتباطها الوطيد بالدين الإسلامي الحنيف جعلتنا نختار ترجمة "**زملائه المجاهدين**" لعمق معناها من جهة ولصلتها بالدين والوطنية من جهة أخرى، فرجعنا بذلك إلى استراتيجية التكييف، تكييف القصة مع ثقافة القارئ في اللغة العربية من خلال الترجمة التي قمنا بها.

- **النموذج الرابع**

« Ya Si Menouar, prends soin de **mon oiselle** ! » P17

في هذا الجزء من الرواية يقوم الكاتب "الطاهر جاووت" بوصف مشهد أب زوجة "منور زيادة" الذي كان يزورهما في كثير من الأحيان خاصة عندما كانا عريسين جديدن، فلما كان يغادر بيت ابنته (زوجة "منور زيادة") بعد أن زارهما محملا بالهدايا والفواكه، ويوصيه بابنته وفلذة كبده خيرا، فيقول: " يا سي منور، اعتني بعصفورتي" هذا إن نحن قمنا بترجمة**Mon oiselle** ترجمة حرفية، لكننا اخترنا أن نترجمها بـ **غزالتي** لأن الغزالة في المجتمع الجزائري يضرب بها المثل في الجمال، فنقول عن فلانة واصفين جمالها أنها جميلة كالغزالة، وفي هذا المثال الذي نحن بصدد تحليله يصف أب زوجة "منور" ابنته بالغزالة وهو المفهوم الدارج في المجتمع الجزائري خاصة، حيث نقول في مَثَلٍ جزائري في الحديث عن الابن أيضا " كل خنفوس عند امّو (أمه) غزال" ومن هنا فقد قمنا بتكييف هذه اللفظة مع ما يتناسب وعقلية وفهم المجتمع العربي والجزائري خاصة.

3.7. التصريح

ومن هذه الاستراتيجية هي الأخرى اخترنا هذه النماذج الأربعة التي سنقوم بتحليلها كما يلي:

- **النموذج الأول**

« C’est un état de bienfaisante hébétude ou’ il s’imagine arranger des draps, vérifier le moelleux des oreillers, écouter décroitre les bruits qui pourraient altérer **un sommeil paradisiaque**. » P10

في هذا المثال الذي اخترنا تحليله أو بالأحرى تحليل الترجمة التي قمنا بها عليه، ارتأينا أن نقترح ترجمة « **un sommeil paradisiaque** » بـ "**نوم في جنة الفردوس**"، حيث أن هذه الترجمة تحمل في طياتها معانٍ من تراثنا الديني، فأضفنا كلمة "الفردوس" التي تعني أعلى الدرجات في الجنة عند المسلمين كما ورد في الأحاديث الصحيحة، كما ذُكرت هذه المفردة مرتين في القرآن الكريم، حيث يقول

الله سبحانه وتعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}[1] ويقول عز وجل أيضًا: {الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[2] ، فالمؤمن عادة ما يطمح ويطمع في الجزاء الإلاهي الذي لا مثيل له فيمتثل للأوامر ويجتنب النواهي محبة في خالقه وطمعا في أعلى المراتب والمنازل في الآخرة وهي جنة **الفردوس**، وهذا على علاقة متينة بالبعد الديني الإسلامي للمجتمع الجزائري على الخصوص والعربي على العموم ومنه كان اختيارنا لإضافة هذه الكلمة في الترجمة التي قمنا بها في إطار استراتيجية التصريح التي جاءت بها "ماريان ليديرير".

- **النموذج الثاني**

« Nous l'avons libéré des chaines de l'occupant, il nous revient de veiller à sa tranquillité même si nous avons aujourd'hui, **vieux combattants oubliées, rangé nos armes et laissé la place à d'autres**. » P23

نحن المجاهدون المنسيون، سلمنا سلاحنا وتركنا المكان لغيرنا، لأنه طاب جنانا.

في هذا الجزء، يدور حديث "منور زيادة" وصديقه "مسعود مزير" عن بعض ذكريات الثورة التحريرية المجيدة، فهم يعتقدون أن الفضل لاسترجاع السيادة الوطنية واستقلال الجزائر يعود لهم، فيقول "منور" أنه حري بهم أن يسهروا على الوطن بالرغم من انهم أصبحوا منسيين بعد أن أرجعوا أسلحتهم، ومن هنا استحضرنا ما يقال في موروثنا الثقافي عن جيل المجاهدين الذين وجب عليهم تسليم المشعل، وأثناء ترجمتنا لهذا الجزء من الحوار الذي دار بين الصديقين اخترنا زيادة **طاب جنانا** وهذا عندما استذكرنا خطاب السيد الرئيس الراحل "عبد العزيز بوتفليقة" حين قال في أحد خطاباته "طاب جناني وعاش من عرف قدر نفسه" تعبيرا عن كبره وعن نيته في تسليم المسؤولية التي كان مكلفا بها لمن هو كفؤ لها، وبهذا نكون حافظنا عن الأثر الذي يريد إيصاله الكاتب "الطاهر جاووت" مستخدمين استراتيجية التصريح التي جعلت من هذه العبارة مفهومة أكثر وأقرب إلى ثقافة التلقي العربي والجزائري بالخصوص.

[1] سورة الكهف: 107.
[2] سورة المؤمنون:11.

- **النموذج الثالث**

« Il avait néamoins eu un logement et **une pension substantielle**. » P10

في هذا النموذج، التزمنا باستراتيجية التصريح وذلك بترجمة **une pension substantielle** بعبارة **منحة مجاهدين محترمة** مكان "معاش تقاعدي محترم" التي هي ترجمة حرفية للعبارة الواردة في الرواية باللغة الفرنسية، إذ قمنا بإضافة كلمة "مجاهدين" للمنحة وذلك لأن المتعارف عليه عند المتلقي الجزائري كمعاش تقاعدي تخصصه الدولة الجزائرية لكل مجاهد قام بتلبية الواجب الوطني ورفع السلاح ضد الاستعمار الفرنسي تقديرا لهم واعترافا بالجميل الذين قدموه لبلادهم وللأجيال التي أتت من بعدهم، قلنا أن المتعارف عليه أن هذا المعاش يسمى "منحة المجاهدين" .

- **النموذج الرابع**

« C’est miracle qu’ils aient repris la vente de l’alcool juste après **la fête religieuse**.
D’habitude la rupture dure plus longtemps. » P31

في هذا المثال، نتطرق للنقاش الذي دار بين السيد "لمجد" والشيخ الستيني، حين كان هذا الأخير يتساءل ويتعجب كيف للسلطات آنذاك أن تسمح باستئناف بيع الخمور بعد ما سماه الكاتب "الطاهر جاووت" بـ **la fête religieuse** أي "العيد الديني"، في حين أنه في مجتمعنا الجزائري، وفي أغلب المجتمعات العربية المسلمة بالخصوص، من غير المعقول أن يقبل الناس على شرب الخمور بعد الأعياد الدينية (بل وإن استهلاكها محرم تماما في ديننا الحنيف)، ومن المنطقي أن الرجل كان يقصد "عيد الفطر" لأنه يُقبَل بعد شهر رمضان وهو الشهر الذي توصد فيه جميع محلات بيع الخمور علماء الدين وطبقا لتعاليم ديننا الحنيف، **La fête religieuse** التي فضلنا ترجمتها بـ **عيد الفطر المبارك** مستخدمين استراتيجية التصريح بإضافة لفظة "المبارك" التي عادة ما ترتبط بأعيادنا الدينية لقدسيتها ومكانتها العالية في قلوب المسلمين، كقولنا مثلا شهر رمضان "الكريم" وقول الشعوب التي تعتنق الديانة

المسيحية "عيد الميلاد المجيد"، إذن فإضافتنا للفظة "المبارك" على سبيل التصريح تجعل من العبارة مألوفة أكثر لدى قارئ الرواية في نسختها المترجمة.

4.7. الترجمة المتمركزة عرقيا

لأننا اخترنا من خلال ترجمتنا أن ينتقل النص المترجم إلى ثقافة القارئ باللغة الهدف أكثر من أن ينتقل القارئ في اللغة الهدف إلى الثقافة الأصلية، لم نلجأ لاستعمال الترجمة المتمركزة عرقيا إلا في هذين النموذجين الذين سنقوم بتحليلهما كالآتي:

- **النموذج الأول**

« Lemdjad s'assit à une table miraculeusement libre et décida d'attendre la venue éventuelle de son collègue en commençant par commander **une bière**. » P29

عادة ما تعرف النصوص الأدبية والروايات استعمال بعض المصطلحات المرتبطة بثقافة الشعوب وبعض العادات والتقاليد، فمثلا في الثقافة الغربية في أوروبا وأمريكا وبعض المناطق في أفريقيا وآسيا، يستهلك الناس عادة بعض أنواع الخمور والمشروبات الروحية ونجدهم يكثرون من شربها خاصة في الأعياد والمناسبات وكذلك في عطلة نهاية الأسبوع، وأمام هذا الأمر قد يختار المترجم بدلا من تكييف العبارة المراد ترجمتها مع بيئة وثقافة القارئ في اللغة الهدف ،واللجوء إلى استراتيجية التصريح التي تمكنه من زيادة مفردة لضبط المعنى المراد الإشارة إليه وبدلا من تبديل الألفاظ بألفاظ أخرى يستوعبها القارئ في الثقافة الهدف، قلنا أن المترجم قد يفضل بدلا من كل هذه الاستراتيجيات أن يجعل القارئ في الثقافة الثانية ينفتح على الثقافة المرتبطة باللغة الأصل ما يجعله أكثر اطلاعا على الآخر وأكثر قدرة على التحاور والتفاعل معه، وهذا ما قمنا به في ترجمة لفظة **une bière** بـ **بيرة** إذ تركناها على حالها غير مكترثين للحرج الذي قد يقع في داخل القارئ العربي عامة والمسلم خاصة وهدفنا من ذلك فسح المجال له كي يتعرف على ثقافة جديدة ويحيط ببعض حيثياتها علما، كل هذا في سبيل الترجمة المتمركزة عرقيًا.

- **النموذج الثاني**

« A-t-il des penchants **homosexuels** ou pervers. » P123

ارتأينا في هذا النموذج ترجمة **homosexuels** التي تعني المثلية الجنسية وهي الانجذاب العاطفي من قبل شخص لشخص آخر من نفس الجنس، أي الذكر للذكر والأنثى للأنثى. وهذا ما يتعارض مع الطبيعة الإنسانية الصحيحة والصحية وما يتنافى مع تعاليم ديننا الحنيف، وتعد الجنسية المثلية في الدول العربية مواضيع يوجد الكثير من الحرج في طرحها بل وجناية يعاقب عليها القانون أشد العقوبات، إلا أننا فضلنا أن نجعل القارئ لترجمتنا على دراية بالظواهر التي تحدث في بقاع العالم الأخرى ليس بهدف كسر حاجز الحرج عنده لكن بهدف كسر حاجز الدهشة ولجعله مطلعا على ما يحدث حوله سواء أكان ذلك من المحظورات أم لا، فترجمنا **homosexuels** بـ **الهوموسكسية** في إطار الترجمة المتمركزة عرقيا.

كان لهذه الاستراتيجيات دور كبير في مساعدتنا على اختيار الألفاظ والعبارات عندما كنا نصادف عناصرا ثقافية موجودة في ثقافة القارئ باللغة الأصل دون وجود ما يكافئها تماما في ثقافة القارئ باللغة الهدف، وهذا ما جعلنا نسترسل في عملية الترجمة دون أن تعترض طريقنا صعوبات كبيرة نعجز عن تخطيها وفيما يلي نقوم بترجمة جزء من مدونتنا.

تطرقنا في فصلنا التطبيقي المعنون بـ "دراسة المدونة وتحليلها" بتقديم لمحة عن رواية «**Les vigiles**» التي اخترناها مدونة لبحثنا هذا، ثم قمنا بالتعريف بالروائي الجزائري ابن جرجرة "**الطاهر جاووت**" الذي أحدث ثورة في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، قدمنا أيضا ملخصا عن الرواية مع ترجمة جزء من الفصل الأول منها، حاولنا أيضا في فصلنا هذا قدر المستطاع تسليط الضوء على الاستراتيجيات التي جاءت بها المنظرة "ماريان ليديرير"، واستخرجنا نماذجا ودرسناها دراسة تحليلية.

ما استنتجناه من هذا الفصل أن الاستراتيجيات التي وضعتها "ماريان ليديرير" هي استراتيجيات مهمة وموفقة إلى أبعد الحدود يجب الاعتماد عليها من أجل الحصول على ترجمة تحفظ خصوصية العملية الترجمية وتوصلنا لأن نتحصل على ترجمة مؤدية تحدث عند قارئ النص المترجم التأثير ذاته الذي بحث عنه كاتب النص الأصلي.

خاتمة

على ضوء الدراسات التي قمنا بها أثناء إنجازنا لمذكرتنا هذه، نصل إلى القول أن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ما هو إلا حقيقة حتمتها الظروف القاسية التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري، فاقتضت الضرورة أن تقوم لغة المستعمر بالدور الذي كان المفروض أن تقوم به اللغة الأم فيما لو عاشت البلاد ظروفا مخالفة للواقع الذي حدث، هذه اللغة التي فرضتها فرنسا على الجزائريين، من أجل خنق هويتهم وطمس تراثهم العربي، انقلبت عليها وأصبحت سلاحا ضد أصحابها، فكانت أداة يعبر بها ومن خلالها الكاتب الجزائري ذو القلم الفرنسي عن ذلك الجانب المشرّف و المشرق للأمة الجزائرية نفسها، بل ولسانا يخاطب ويعاتب به المستعمر فيطلق عليه بذلك رصاصة من سلاحه، صارت غنيمة الحرب كما اتفق على تسميتها الكثير من الكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية.

هذه النصوص الأدبية المكتوبة باللغة الفرنسية كغيرها من النصوص الأدبية الأخرى تختلف عند إخضاعها لعملية الترجمة عن باقي النصوص (غير الأدبية)، حيث تتضمن أساليب وإيحاءات وتعابير ومشاعر الكاتب التي تضفي على عمله الأدبي لمسته الخاصة به وأسلوبه إضافة إلى المعطيات الثقافية التي تتغلغل فيها والتي يجب على المترجم فك شيفرتها من أجل نقلها إلى اللغة الهدف بحيث يفهم من خلالها قارئ النص المترجم نفس ما يفهمه قارئ النص الأصلي، وبهذا يتوجب على مترجم النص الأدبي إجراء عملية بحث وتقصي عن المحتوى المعجمي وكذلك التراكيب النحوية المتعلقة باللغة الهدف فضلا عما يتعلق بالمذاهب المختلفة والنظم القيمية والتقاليد التي تميز ثقافة ما قبل الشروع في عملية الترجمة، وبهذا يتعين عليه (على المترجم) التعرف على جمهور اللغتين الأصل والهدف والإلمام بعناصر الهوية الثقافية للغة الهدف.

وبهذا فإن ترجمة النصوص الأدبية تقتضي الالتفات إلى عدة عناصر لا يمكن غض الطرف عنها أو تجاهلها وإن حدث ذلك فإن النص المترجم لن يلقى الرواج المنتظر منه عند قراء

اللغة الهدف، فالجهود المبذولة من طرف مترجم هذا النوع من النصوص تتجاوز جهود مترجمي النصوص الأخرى لما يتحتم عليه من إطلاع بإمكان المترجمين في المجالات الأخرى الاستغناء عنه. كل هذه العناصر التفتنا إليها ودققنا فيها عند قيامنا بتطبيق استراتيجيات "ماريان ليديرير" على النماذج التي قمنا باختيارها.

ومنه فإن نقل البعد الثقافي في ترجمة النصوص الأدبية ليس بالمهمة السهلة، إذ تتداخل العوامل الثقافية المختلفة في النص الأدبي وتجعل منه نصا معقدا وعسيرا للترجمة، فإن كان قارئ النص الأصلي يتمتع بقراءته ويتذوق العمل الأدبي، فإن السماح لقارئ النص المترجم بالتمتع بالإحساس نفسه غاية صعبة الإدراك تقتضي من المترجم إضافة إلى الكفاءة اللغوية والمستوى الفكري والمكملات المعرفية، الإحاطة بثقافة اللغة الهدف بكل أبعادها وانتهاج الطرق الأمثل في الترجمة من أجل التمكن من نقل البعد الثقافي على أكمل وجه.

وفي سبيل تحقيق مقروئية أفضل في اللغة المنقول إليها، يلجأ مترجم النص الأدبي الذي تتخلله رموز وإيحاءات ثقافية إلى الاستعانة بإستراتيجيات من شأنها أن توجّه تفكيره وتعينه على اختيار مفردات وتعابير دون أخرى، منها الاستراتيجيات التي اخترنا أن نتطرق إليها ونستعين بها نحن أثناء قيامنا بترجمة مدونتنا، وهي استراتيجيا "ماريان ليديرير" المتمثلة في التبديل والتكييف والتصريح والترجمة المتمركزة عرقيا، والتي نحسبها ناجعة حيث جعلت من عملية الترجمة التي قمنا بها أكثر يُسرًا.

إلا أنه لا يمكننا غض الطرف عن الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لمذكرتنا هذه، والتي تتمثل في قلة المراجع التي كان من شأنها أن تثري عملنا أكثر، إضافة إلى صعوبة اقتنائنا للرواية لقلة بل وحتى عدم توفرها في شتى مكتبات الوطن.

ختاماً، نرجو أن نكون قد وُفّقنا في الإلمام بأهم العناصر التي تخدم موضوع مذكرتنا هذه التي نتمنى أن تكون لمكتبة كليتنا مكسبا وتعود بالفائدة على طلاب تخصصنا الذين ارتأينا أن نقترح عليهم الخوض في "إشكالية ترجمة المستويات الثقافية للأفلام الكوميدية باللغة العربية إلى اللغة الفرنسية" و"إشكالية ترجمة الخطاب الساخر في الأفلام الفرنسية إلى اللغة العربية" و"إشكالية ترجمة الإعلانات الإشهارية المنطوقة باللهجة المحلية إلى اللغة الفرنسية" حيث أننا وحسب إطلاعنا المتواضع نَحسَبُ أنه لم يتم التطرق لأي منها، وما توفيقنا إلا بالله عز وجل.

المصطلح باللغة العربية	المصطلح باللغة الفرنسية
تكييف	Adaptation
تحليل	Analyse
أنثروبولوجيا	Anthropologie
منفعة	Bénéfice
مفيدة	Bienfaisante
تبديل	Conversion
تطابق	Correspondance
مدونة	Corpus
ثقافة	Culture
انسلاخ لغوي	Déverbalisation
صعوبة	Difficulté
مكافئة	Équivalente
متمركزة عرقيا	Ethnocentrisme
شرح	Explication
تصريح	Explicitation
متكررة	Fréquence
معرض	Galerie
أصل	Germe
عادة	Habitude
ضمني	Implicite
تفسيرية	Interprétation
عدالة	Justice
أغلبية	Majorité
طبيعة	Nature
مفهوم	Notion
معجم	Lexique
قارئ	Lecteur

Préférable	مفضل
Possibilité	إمكانية
Référent	مرجع
Religion	ديانة
Situation	حالة
Signe	عرف
Tradition	تقليدية
Univers	عالم
Vestimentaire	لباس
Zakat	زكاة

Anthropologie	أنثروبولوجيا
Stratégie	استراتيجية
Problématique	إشكالية
Dimension	بعد
Héritage	تراث
Etrangéisation	تغريب
Adaptation	تكييف
Domestication	توطين
Culture	ثقافة
République	جمهورية
Caractéristique	خاصية
Mouvement	حركة
Civilisation	حضارة
Confidentialité	خصوصية
Démocratie	ديكتاتورية
Dictature	ديمقراطية
Vision	رؤية
Roman	رواية
Mariage	زواج
Politique	سياسة
Contexte	سياق
Difficulté	صعوبة
Couche	طبقة
Méthode	طريقة
Conviction	عقائدية
Relation	علاقة
Obscurité	غموض
Fédération	فدرالية
Art	فن

Lecteur	قارئ
Façon	كيفية
vêtement	لباس
Principe	مبدأ
Norme	معيار
Terme	مصطلح
Théorie	نظرية
Transfert	نقل
But	هدف
Identité	هوية
Fonction	وظيفة

باللغة العربية:

- القرآن الكريم.
- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1960، المجلد2.
- إبراهيم سعيدي: تسعينات الجزائر كنص سردي، الملتقى الدولي السابع للرواية، عبد الحميد بن هدوقة، دراسات الملتقى السادس، دار هومة للنشر، الجزائر.
- أحمد منور: ثقافة الأزمة (مقالات)، ط1، الوكالة الإفريقية للإنتاج السنيمائي والثقافي، الجزائر، 2009.
- أحمد منور، أزمة الهوية، (د ط)، دار الساحل للكتاب، الجزائر، 2013.
- إدوارد تايلور عالم أنتروبولوجيا انجليزي ومؤسس لعلم الأنتروبولوجيا الثقافية.
- أسماء بن سخرية: التجليات الثقافية في الترجمة الأدبية، مذكرة ماجستير، جامعة باتنة،2014-2015.
- أنطوان برمان: الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي، مراجعة جورج كتورة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010.
- بن أباجي نذير وصوفي بلقاسم: ترجمة المضامين الثقافية في كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بن زيان"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الترجمة، شعبة الترجمة، قسم الإنجليزية، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،2017.
- جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ط1، دار ميم للنشر، 2013.
- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1979.

- جعلالي جوهرة: نقل البعد الثقافي في ترجمة النصوص الأدبية، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،2015-2016.
- جمال محمد جابر: الترجمة بين الثقافات، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2007.
- حسام الدين، كريم زكي: اللغة والثقافة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
- زهرة شهير: صورة المجتمع الجزائري في روايات العشرية السوداء، مذكرة لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة،2015_2016.
- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية، منشورات المركز الجامعي، بيروت، 1963.
- سمير الشيخ: الثقافة والترجمة، دار الفرابي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.
- صديق أحمد علي: استراتيجيات الترجمة الثقافية: مجلة علمية، الأكاديمية الأمريكية العربية، 2013.
- عادل عزام سقف الحيط: الدليل المعتمد للترجمة القانونية، ترجمة النصوص القانونية والمدنية والتجارية والحكومية والشرعية من وإلى اللغة العربية والانجليزية، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2012.
- عامر رضا وكربيع نسيمة: رواية الازمة المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الترجمة، مجلة اللغة العربية وآدابها، مجلة دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي، العدد الأول، 2008_2009.
- عبد الله شطاح: مدارات الرعب (فضاء العنف في رواية العشرية السوداء)، (د ط)، دار العباسي يوسف للطباعة والنشر،الجزائر، 2014.

- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998 .
- فاطمة الزهراء حبيب: ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015_2016.
- فايز حداد: جدلية علاقة اللغة بالفكر والثقافة، صحيفة تشرين، العدد 432.
- مجموعة من المؤلفين: الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي سعيدة، 2007_2008.
- محمد الشريف بن دالي حسين: المترجم كوسيط بين الثقافات، ترجمة ما لا مقابل له، مجلة معالم، المجلد8، العدد 11.
- مروان عطية: كتاب معجم المعاني الجامع الإلكتروني.
- نبيل راغب: فنون الأدب العالمي، ط 1 ، لونجان للنشر، مصر، 1996.
- واسيني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- قناة "معلوماتك المفقودة" على اليوتيوب.
- قناة El Djazairia One على اليوتيوب.
- قناة France 24 على اليوتيوب.

باللغة الفرنسية:

- Dictionnaire Larousse, version électronique.
- J.P. Vinay & J.Darbelnet, Stylystique comparée du Français et de l'Anglais. Didier : Paris, 2eme édition, 1972.
- LEDERER, Marianne : La traduction aujourd'hui. Le modèle interprétatif, Paris.
- LEDERER, Marianne, La Traduction aujourd'hui (le modèle interprétatif) , lettres modernes Minard, Paris, 2015.
- LEDERER, Marianne, La traduction aujourd'hui. Le modèle interprétatif, Paris.
- SEVERY, Jean, " une fidélité impossible: traduire une œuvre africaine Anglophone", palimpsestes n° 11, Paris, presse de la Sorbonne nouvelle, 1998.
- SKILBRED, Camilla, Le transfert du culturel dans la traduction de poisson d'or, Hostens, 2005.

- SKILBRED, Camilla, Le transfert du culturel dans la traduction de poisson d'or, Hostens, 2005.

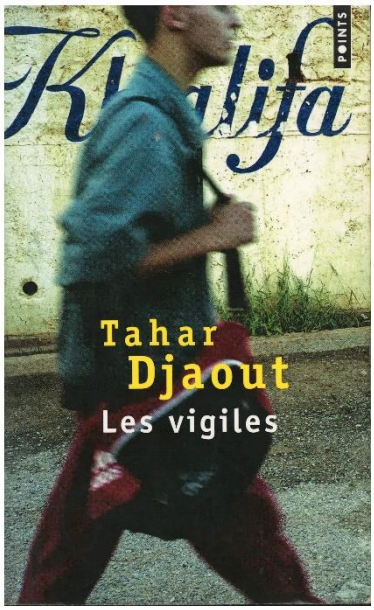

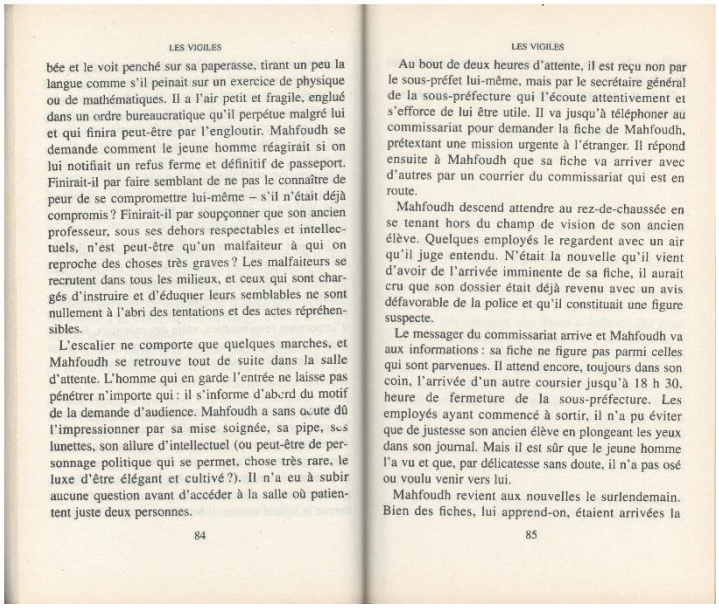

LES VIGILES

bée et le voit penché sur sa paperasse, tirant un peu la langue comme s'il peinait sur un exercice de physique ou de mathématiques. Il a l'air petit et fragile, englué dans un ordre bureaucratique qu'il perpétue malgré lui et qui finira peut-être par l'engloutir. Mahfoudh se demande comment le jeune homme réagirait si on lui notifiait un refus ferme et définitif de passeport. Finirait-il par faire semblant de ne pas le connaître de peur de se compromettre lui-même – s'il n'était déjà compromis ? Finirait-il par soupçonner que son ancien professeur, sous ses dehors respectables et intellectuels, n'est peut-être qu'un malfaiteur à qui on reproche des choses très graves ? Les malfaiteurs se recrutent dans tous les milieux, et ceux qui sont chargés d'instruire et d'éduquer leurs semblables ne sont nullement à l'abri des tentations et des actes répréhensibles.

L'escalier ne comporte que quelques marches, et Mahfoudh se retrouve tout de suite dans la salle d'attente. L'homme qui en garde l'entrée ne laisse pas pénétrer n'importe qui : il s'informe d'abord du motif de la demande d'audience. Mahfoudh a sans doute dû l'impressionner par sa mise soignée, sa pipe, ses lunettes, son allure d'intellectuel (ou peut-être de personnage politique qui se permet, chose très rare, le luxe d'être élégant et cultivé ?). Il n'a eu à subir aucune question avant d'accéder à la salle où patientent juste deux personnes.

84

LES VIGILES

Au bout de deux heures d'attente, il est reçu non par le sous-préfet lui-même, mais par le secrétaire général de la sous-préfecture qui l'écoute attentivement et s'efforce de lui être utile. Il va jusqu'à téléphoner au commissariat pour demander la fiche de Mahfoudh, prétextant une mission urgente à l'étranger. Il répond ensuite à Mahfoudh que sa fiche va arriver avec d'autres par un courrier du commissariat qui est en route.

Mahfoudh descend attendre au rez-de-chaussée en se tenant hors du champ de vision de son ancien élève. Quelques employés le regardent avec un air qu'il juge entendu. N'était la nouvelle qu'il vient d'avoir de l'arrivée imminente de sa fiche, il aurait cru que son dossier était déjà revenu avec un avis défavorable de la police et qu'il constituait une figure suspecte.

Le messager du commissariat arrive et Mahfoudh va aux informations : sa fiche ne figure pas parmi celles qui sont parvenues. Il attend encore, toujours dans son coin, l'arrivée d'un autre coursier jusqu'à 18 h 30, heure de fermeture de la sous-préfecture. Les employés ayant commencé à sortir, il n'a pu éviter que de justesse son ancien élève en plongeant les yeux dans son journal. Mais il est sûr que le jeune homme l'a vu et que, par délicatesse sans doute, il n'a pas osé ou voulu venir vers lui.

Mahfoudh revient aux nouvelles le surlendemain. Bien des fiches, lui apprend-on, étaient arrivées la

85

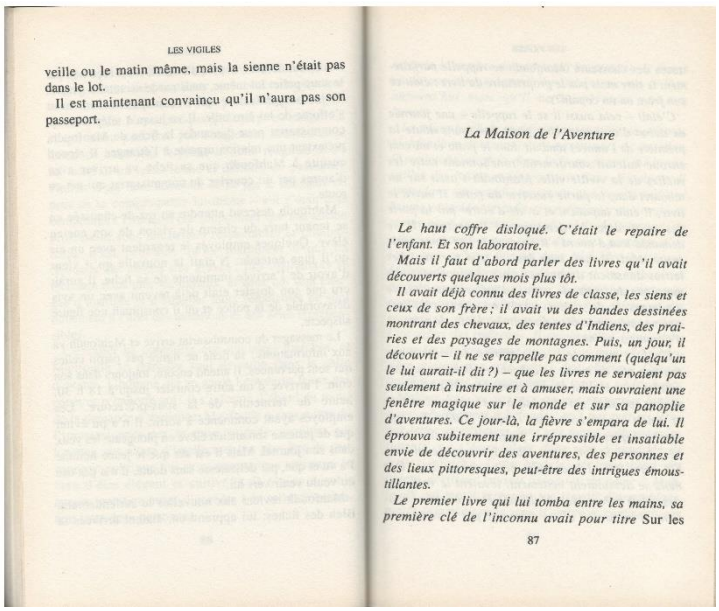

LES VIGILES

veille ou le matin même, mais la sienne n'était pas dans le lot.

Il est maintenant convaincu qu'il n'aura pas son passeport.

La Maison de l'Aventure

Le haut coffre disloqué. C'était le repaire de l'enfant. Et son laboratoire.

Mais il faut d'abord parler des livres qu'il avait découverts quelques mois plus tôt.

Il avait déjà connu des livres de classe, les siens et ceux de son frère ; il avait vu des bandes dessinées montrant des chevaux, des tentes d'Indiens, des prairies et des paysages de montagnes. Puis, un jour, il découvrit – il ne se rappelle pas comment (quelqu'un le lui aurait-il dit ?) – que les livres ne servaient pas seulement à instruire et à amuser, mais ouvraient une fenêtre magique sur le monde et sur sa panoplie d'aventures. Ce jour-là, la fièvre s'empara de lui. Il éprouva subitement une irrépressible et insatiable envie de découvrir des aventures, des personnes et des lieux pittoresques, peut-être des intrigues émoustillantes.

Le premier livre qui lui tomba entre les mains, sa première clé de l'inconnu avait pour titre Sur les

87

traces des chasseurs (*Mahfoudh se rappelle parfaitement le titre mais pas le propriétaire du livre : était-ce son frère ou un copain?*).

C'était – cela aussi il se le rappelle – une journée de début d'automne. Une pluie fine (sans doute la première de l'année) tombait dans le patio et un vent enroué haletait sourdement, ronchonnant entre les ruelles de la vieille ville. Mahfoudh s'assit sur un tabouret dans la partie couverte du patio. Il ouvrit le livre, il était impatient et avide d'entrer par la porte des mots dans la demeure de l'aventure. Il se demanda tout d'abord s'il pourrait le lire d'une seule traite. Mais il était trop ému et trop nerveux. Les lettres dansaient devant ses yeux, composaient une mosaïque de traits, de points, d'arcs minuscules, de jambages et de signes serrés en rangs réguliers comme une armée bien disciplinée. Mais, de mots ou d'aventures, point.

L'enfant reposa le livre, s'efforça de vaincre son émotion afin de mieux se concentrer. Il ferma un instant les yeux et il lui sembla alors entendre plus intensément son sang qui circulait à une vitesse accélérée et venait cogner contre ses tempes. Mahfoudh resta ainsi quelques minutes puis, jugeant son émotion tombée, il reprit le livre à son début. L'entreprise lui sembla cette fois-ci beaucoup moins éprouvante. Des mots se dessinaient nettement, levaient le voile sur des objets précis. Mais Mahfoudh était toujours impatient. Il lui tardait d'être submergé par l'aventure. Il

regarda le nombre de pages qui lui restaient à lire et se dit que non seulement il n'achèverait pas le livre aujourd'hui mais qu'il ne l'achèverait peut-être jamais.

La pluie tombait toujours, aussi silencieusement. Mahfoudh maintenant ne se posait plus de question. Il naviguait en plein dans le livre, parmi les broussailles des lettres et les contours flous des objets. Il était dans un monde incertain que recouvrait une brume obstinée, et celle-ci se dissipait de temps en temps pour révéler un carré précis de paysage, un arbre ployant sous la neige, les yeux perçants d'un loup, une cabane fumant dans la forêt silencieuse. Mahfoudh s'enfonçait profondément, en trébuchant parfois ou en tâtonnant dans la pénombre, dans une contrée froide et blanche parmi des chiens et des trappeurs, sur les traces des bêtes sauvages, dans l'inconfort des traîneaux. Il manipulait à l'aveuglette (dans sa tête seulement ou avec ses mains? la frontière n'était pas très nette) des objets à l'usage indéfini comme les raquettes, les trappes ou les luges.

Maintes fois, un paysage ou une entreprise fantastique, péniblement échafaudés, mot par mot ou lettre par lettre, persistaient dans une forme embryonnaire, fuyante, ou s'écroulaient dans une débandade de lettres affolées. Cette brutale décomposition des objets, des lieux causait beaucoup de peine à Mahfoudh qui tantôt reprenait son travail d'assemblage, tantôt enjambait cette zone d'ombre et continuait son

exploration en se promettant de revenir plus tard remplir les différents blancs. La planète des mots était charmeuse, mais aussi combien ardue et frustrante!

Lorsque Mahfoudh ôtait ses yeux des feuilles mouchetées de signes, rappelé à la réalité par le vrai vent qui hurlait dans les rues étroites, sa tête bouillonnait, brassait des tronçons d'images, des objets nets ou hybrides, des mots aux consonances étranges. Il se sentait fatigué et heureux. Mais un sentiment d'insatisfaction le tenaillait. Il s'attendait à mieux que cela. Il avait été jusqu'au seuil de la Maison de l'Aventure. Il avait jeté un coup d'œil à l'intérieur, découvrant des objets précis et des ustensiles déroutants. Mais il n'était pas entré. Des mots inflexibles l'en avaient empêché, lui en avaient dérobé chaque fois la clé et dissimulé ainsi un morceau essentiel du puzzle.

Mahfoudh refermait le livre qui emprisonnait dans ses feuilles un univers de congères, de loups, de sapins, de cabanes à la chaleur paradisiaque. C'était le soir. Mahfoudh mangeait sans regarder son assiette, l'esprit vagabondant sur les cimes enneigées des forêts. Il ouvrit encore le livre en se mettant au lit, et le sommeil le surprit dans les espaces blancs, parmi les meutes furieuses de loups et le hululement du vent qui s'engouffrait dans les rues sombres de la vieille ville endormie.

Ce fut l'année de la découverte des livres que le désir d'invention lui vint lors d'un séjour chez sa grand-mère. La période de vacances reléguait toujours

les livres dans l'oubli. Et puis il n'y avait pas de livres chez la grand-mère. Était-ce pour cela que Mahfoudh passait tout son temps dehors, dans les champs hantés par les cigales? Aliouate et Khaled constituèrent pour lui la grande révélation de l'amitié. Ils devinrent ses compagnons inséparables. Ils avaient tous les deux son âge, mais étaient plus solidement bâtis et étaient noirauds à force de courir tout le jour sous un ciel caniculaire. Il les trouvait aussi très ingénieux. Les lance-pierres, la glu épaisse, les cages, les pièges à ressorts, les trébuchets : ils manipulaient – quelquefois même fabriquaient – tout cet attirail avec une aisance admirable.

Les trois garçons écumaient les champs à la recherche de l'aventure. Une maison en ruine envahie de buissons leur servait de quartier général. Là, ils tenaient chaque matin conseil pour décider de l'action à entreprendre. C'était à partir de là qu'ils lançaient leurs opérations. Leur programme était bien chargé pour cet été : des oiseaux à tirer, des lapins à traquer au crépuscule, des fruits à dérober dans des vergers précis, une rivière (un simple filet d'eau en vérité) à explorer afin d'en reconnaître la source. Il y avait aussi une sorte de décharge (les enfants l'appelaient « le chantier ») que les trois explorateurs visitaient discrètement, attirés par une multitude d'objets : meubles estropiés, outils rouillés hors d'usage, tout un bric-à-brac où se côtoyaient, s'alliaient le métal, le bois, le plastique.

Un jour, les enfants y découvrirent, à moitié ensevelie sous du plâtras, une trotinette déglinguée. Ils la dégagèrent soigneusement, la dépoussiérèrent, tentèrent de l'utiliser. Mais il lui manquait, en plus des roues, une bonne partie du guidon. C'était en fait une simple planchette (d'ailleurs tout abîmée) surmontée d'une tige métallique. Les enfants ne l'entraînèrent pas moins vers leur QG. Ils la couchèrent parmi les pierres et les buissons nains comme la pièce d'un butin ou comme le cadavre d'un compagnon valeureux.

Ils restèrent un moment silencieux, puis Khaled proposa :

– Il faut la réparer.

– Ou en fabriquer une autre semblable, enchaîna Aliouate aussitôt, comme si l'idée avait déjà mûri dans sa tête durant le trajet du transport de la machine sinistrée.

Le silence retomba, lourd et lisse comme un couperet. Mahfoudh sentit flotter et s'entrechoquer dans sa tête des idées et des objets saugrenus. Depuis la découverte des livres et surtout depuis qu'il avait vu Aliouate et Khaled manipuler des pièges, des frondes et autres engins (il avait aussi regardé la grand-mère tisser des motifs enchanteurs et décorer les poteries), la fièvre de fabriquer des choses lui rongeait la tête et les mains. Le moment lui sembla venu de donner une chance à son désir. Il dit avec un tremblement intérieur qui ne transparut pas dans sa voix :

– Et si nous fabriquions plutôt une barque afin de remonter le fleuve jusqu'à sa source ?

Ce jour-là, les enfants restèrent tard entre les murs envahis de buissons à parler d'outils, de matériaux et – pour la première fois cet été – d'argent. Ils n'excluèrent d'ailleurs pas la chance de découvrir un trésor lors de leur remontée du fleuve (c'était maintenant ainsi qu'ils désignaient le filet d'eau). Lorsqu'ils s'acheminèrent vers le village, il faisait déjà presque nuit.

Ils se mirent à l'œuvre dès le lendemain. Il avait, bien sûr, fallu auparavant coucher sur papier divers calculs et croquis maintes fois vérifiés et rectifiés.

Mahfoudh découvrit dans la maison de la grand-mère un haut coffre disloqué. Il en fit son repaire. Et son laboratoire. Il passait dedans des heures entières à la réalisation de la barque. Avait-il des outils avec lui ? Travaillait-il avec ses mains ou seulement avec sa tête ? La fraîcheur et la pénombre du coffre étaient propices à la réflexion. Et au travail soutenu. N'y avait-il pas d'autre raison au choix de ce lieu insolite ? Il fallait, bien évidemment, garantir le secret de l'invention.

L'enfant fermait souvent les yeux en travaillant pour se couper de son environnement et pour mieux s'insérer dans l'aventure. Les ports, au matin, étaient très bruyants. Mahfoudh reconnaissait dans l'inextricable agitation quelques bâtiments et quelques équipages. Il saluait des matelots au passage, hélait quelque barque à l'accostage. Mais il n'avait pas le temps d'engager une discussion. Des marchandises

– quelques-unes arrivées de très loin – s'entassaient sur les quais, et les hommes chargeaient ou déchargeaient sans un instant de répit.

L'enfant ne savait pas s'il devait partir. Il n'était pas encore décidé. Mais ce n'était qu'une question de temps : il connaissait déjà l'issue de son hésitation. Le vent du large chargé d'inconnu l'attirait tel un aimant. Quelque chose toutefois le rivait à la terre. Quoi ? Ah ! oui, il devait participer activement au chantier de construction s'il voulait que la barque prît un jour le large.

Le travail se déroulait dans la joie, dans l'euphorie même. On ne sentait ni le poids des outils, ni la dureté des matériaux, ni la chaleur éprouvante du début d'après-midi. La nuit s'abattait sur eux à l'improviste et ils abandonnaient à regret le chantier en pensant déjà, pour se consoler, à l'ambiance de travail du lendemain. Le chantier était en constante effervescence ; le travail avançait à grands pas. Les arbres abattus étaient tout de suite ébranchés et soumis à la hache et la scie. Les planches – dont le bois exhalait encore l'odeur de la sève et de l'écorce vive – étaient assemblées, courbées à l'occasion, goudronnées. La proue se dessinait, hardie, aventureuse. Elle parlait par son seul élancement de l'imminence du départ. Cela attisait l'énergie et l'ardeur des enfants, fouettait leur impatience à hisser les voiles.

C'était déjà décidé en lui : Khaled serait le bosco. Parfois, au milieu des ahans, des bruits de cognée, du

crissement des poulies, la voix d'Aliouate s'élevait en un chant célébrant la traversée :

Étourneau voyageur,
Suis le sillage du navire
Et demande à mon aimée
La cause de son escapade.

La chanson faisait beaucoup de bien aux enfants, décuplait la force de leurs bras, remplissait leur tête d'images. Mahfoudh rêvait – pendant qu'il débitait un tronc de peuplier – à une mer étale et infinie au-dessus de laquelle tournoyaient des oiseaux multicolores dont le chant ensorcelant annonçait des terres opulentes et parfumées. C'était vers ces terres, lui semblait-il, que voguaient les nuages diaphanes qu'un vent complaisant pourchassait. Son esprit voguait lui aussi, poussé par le vent de l'aventure. Il voyait des couleurs féeriques danser sur le miroir de l'eau. Il ne pensait jamais à cette autre mer moins accueillante qui roule d'immenses crêtes blanches.

Le jour décisif finit par arriver.

Les enfants, l'un après l'autre, posèrent pied sur le cotre flambant neuf et, ayant affermi les haubans, hissé les voiles et orienté le gouvernail, ils cinglèrent, sous un vent propice, vers les terres prodigues en aventures.

Allongé à côté de Samia, Mahfoudh pense à une plage sans limites avec du sable fin et chaud qui pousse à la somnolence, à l'étirement voluptueux. Il n'est pas bavard après l'amour, et il sait que ce mutisme est gênant. Il se bourre une bonne pipe et Samia allume une cigarette. Il trouve un peu ridicule cette fumerie quasi rituelle qui succède à leurs étreintes. Mais cela fait presque deux ans que ça dure.

Samia et Mahfoudh restent généralement quatre ou cinq jours sans se voir puis ils se retrouvent ici, chez Samia, pour se séparer de nouveau le lendemain ou le surlendemain. Ils ne se rendent pas de comptes, ne demandent pas de nouvelles des jours où ils ne se sont pas vus, sauf si l'un ou l'autre éprouve le besoin de parler de lui-même, sans être interrogé.

C'est l'un de ces besoins que ressent en ce moment Mahfoudh en tirant nonchalamment sur sa pipe, l'esprit visiblement ailleurs. La semaine qui vient de passer a été très chargée pour lui d'événements impor-

tants et, s'il excepte le peu qu'il a révélé à son frère, il ne s'en est ouvert à personne. Qui mieux que Samia pour l'écouter ?

– J'ai eu une semaine bien mouvementée, dit-il entre deux bouffées de tabac.

– Quelque aventure sentimentale ? s'enquiert ironiquement Samia.

– Oh non ! c'est beaucoup moins passionnant.

Et il raconte ses déconvenues, depuis l'invention de la machine jusqu'à l'histoire du passeport. Il sent tout contre lui le corps pesant et comme abandonné de Samia, planète délicate et robuste. C'est un corps au pouvoir magique avec quelque chose qui comble et apaise, la vertu d'enrayer l'angoisse et le sentiment de solitude. Mahfoudh narre ses désagréments, avec ce corps à la fois familier et secret tout près du sien, et cela enlève à l'histoire son amertume et ses détours maléfiques. Une tendresse grandit en lui, jusqu'à l'oppresser. Il est obligé de remuer pour répondre aux ondes d'excitation, de tirer quelques bouffées de sa pipe. Depuis plus d'un an qu'elle connaît Mahfoudh, Samia a toujours été irritée, sans qu'elle ait osé en discuter avec lui, par un aspect de son tempérament : une nonchalance confinant à la mollesse, à la passivité. Une sorte d'absence sans remède.

– Je pense qu'il faudra réagir contre des pratiques aussi révoltantes, dit-elle.

– Ils cherchent à culpabiliser les gens, à semer en eux le doute. Ils veulent les forcer à fouiller au fond

d'eux-mêmes jusqu'à découvrir le mal ou à le créer au besoin.

– Et si tu baisses les bras, ils croiront justement que tu te reproches quelque chose, qu'ils ont trouvé la faille pour te confondre. Ils te tiendront ainsi d'une main de fer parce que tu auras accepté de jouer leur jeu et de tomber dans leur panneau.

– Et que dois-je faire à ton avis ?

– Écrire une lettre de recours.

– Oui, elle parviendra, si j'ai de la chance, sur le bureau d'un responsable. Celui-ci réglera mon problème de passeport et il croira ainsi être devenu un bienfaiteur auquel je resterai redevable toute ma vie. Surtout s'il me convoque dans son cabinet, me regarde dans les yeux avec un air seigneurial, sermonneur et apitoyé, acquérant ainsi pour moi le visage de l'homme charitable, du père ou du frère (cela dépendra de son âge) sauveteur.

– Tout dépend de la manière dont tu t'y prendras, dont tu rédigeras la lettre de recours.

Avant de s'endormir, son corps accoté à ce havre apaisant, Mahfoudh entrevoit la figure du commissaire principal, un homme très grand, les dents de devant espacées, qu'il avait aperçu à son bureau au commissariat le jour où il s'y était rendu. Il n'avait pas, à première vue, cet air renfrogné, hautain des hommes préposés au maintien de l'ordre à tout prix. Ce sera peut-être à lui que Mahfoudh adressera la requête dont il commence déjà à chercher la formula-

tion dans sa tête. Mais il se dit qu'en fin de compte il serait plus efficace de s'adresser à une autorité civile. Il décide de faire très vite. C'est la seule manière d'avoir une chance de participer à la Foire de Heidelberg. Il s'endort presque rasséréné, accroché à cette perspective de solution comme à une bouée de sauvetage.

Le matin est sans gaieté dans le quartier où habite Samia ; il n'a rien à voir avec les matins gazouillants et parfumés d'odeurs champêtres de Sidi-Mebrouk. Mais ce quartier est quand même mieux que celui où Mahfoudh possède son studio. L'appartement de Samia est enclos de toutes parts par les hauts murs des bâtiments. Son horizon se réduit à des façades sales tapissées de persiennes et à une très étroite trouée sur la mer qu'on voit comme un morceau de toile bleue, comme un mouchoir étendu loin.

Mahfoudh aime pourtant ce quartier, son calme. Il aime comme cela certains endroits de manière irraisonnée. Comme la vieille ville où il est né. Comme la grande rue commerçante de la capitale où il se promenait, adolescent, émerveillé par les riches vitrines. Comme l'esplanade devant la mer avec ses arbres bruissant d'oiseaux le soir, son jet d'eau jaillissant d'une pierre, ses kiosques où Mahfoudh passait, en regardant les livres, de longues minutes d'évasion. Comme il n'achetait jamais rien, il avait peur de se

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على إشكالية البعد الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وتأكيد أهمية النقل الثقافي في الترجمة، الأمر الذي يضع المترجم أمام صعوبات قد تحول دون الترجمة الأمنية والدقيقة، تحديات ترغم المترجم على البحث وإيجاد الحلول اللازمة لتجاوزها.

هدفنا في هذه الدراسة هو توضيح أهم الأساليب المستخدمة في ترجمة هذه المضامين الثقافية والتي من دورها تسهيل مهمة المترجم. اختتمنا عملنا بدراسة تطبيقية للتقرب من هذه المضامين وتحليلها حسب الاستراتيجيات الأربعة التي وضعتها "ماريان ليديرير" (التكييف، التبديل، التصريح، الترجمة المتمركزة عرقيا)، لغرض قياس مدى فاعلية هذه الاستراتيجيات في دورها لتجاوز إشكالية ترجمة البعد الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: البعد الثقافي، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، النظرية التأويلية، الفهم، الانسلاخ اللغوي، إعادة الصيغة، المأكل والمشرب، الحضارة.

Cette étude a pour objet de mettre en évidence la problématique du concept de la dimension culturelle dans le roman algérien écrit en langue française et à souligner l'importance du transfert culturel en traduction, cela met le traducteur face à des difficultés qui peuvent empêcher une traduction correcte et précise, des défis qui l'obligent à rechercher et à trouver les solutions nécessaires pour les surmonter.

L'objectif de cette étude est de clarifier l'importance des méthodes les plus appropriées utilisées dans la traduction de ces concepts culturels qui à leur tour facilitent la tâche du traducteur. Nous avons conclu notre travail par une étude appliquée pour aborder ces contextes en les analysant selon les quatre stratégies élaborés par Marianne LEDERER (Adaptation, Conversion, Explicitation, Ethnocentrisme) dans le but de mesurer le taux d'efficacité de ces stratégies pour surmonter la problématique de la traduction de la dimension culturelle dans le roman algérien écrit en langue française.

Mots clés : la dimension culturelle, la théorie interprétative, réexpression, compréhension, déverbalisation.